للقراءة في الإجازة

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

للقراءة
في
الإجازة

تأليف
عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

ح عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله

للقراءة في الإجازة. / عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر.- الرياض،

١٤٣٤هـ

٥١٣ ص؛ ١٦×٢٢,٥ سم

ردمك ٨-١٧٣٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- الفكاهات العربية أ. العنوان

ديوي ٨١٧,٠٠٨ ١٤٣٤/٢٧٢١

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٢٧٢١

ردمك: ٨-١٧٣٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨

المقدمة

(أ)

الإجازة عُرفت في الزمن القديم بأنها الشهادة التي يعطيها العالِم لتلميـــذه عندما يتحصّل على درجة من العلم الذي علّمه إياه؛ توكد انتظامه عنده في طلب العلم، واجتهاده فيه، ومواظبته عليه، والتعلق بالعلم، والاستعداد للمحافظة عليه، والزيادة فيه بما يفيد، والسير في ضوء ما تعلّم، وإهـــداء علمه لمن طلبه، يعطيه العلم بأمانة وإخلاص.

أما ما نعرفـــه اليوم، وهو تـــرك العمل، والخلود إلى الراحة، داخل مقر إقامة الإنسان،

أو خارجهـــا، في بلاده، أو خارجها في أرض الله الواســـعة، فهو اصطلاح جديد بعيد عن الجذر الأصل لهذه الكلمة، ومنذ أن انفردت عـــن الجادة الأولى أصبح لها شـــأنها. بدأت محدودة، ســـاذجة أول الأمر، ثم أخذ يتطور وضعها، ويتســـع شـــأنها، وتتعمق عروقها؛ وصارت مظهراً سنوياً واجباً ثابتاً، عند كثير من الناس.

وبما أنها دخلت هذه المرحلة، فقد دخلت روضاً مزهراً واسعاً؛ شُعبه متعددة، وطرقه ممهدة، وأشـــكاله وتفرعاته تزيد مع الوقت تنوعاً وتأكيداً، وتثبيتاً. وكل شعبة منها الآن مَرْج، أخذ حقه من العناية والتطوير، وأصبح كياناً قائماً بذاته.

كان لا يقدم عليه إلا الثري، القادر على تهيئة جو مالي مريح، يتمتع فيه، ومن يعول، بارتياح جسم، وطمأنينة نفس، داخل بلاده، في منطقة يختارها بعناية ودقة، يذهب، إن كان وقت صيف إلى ما يوفر له الجو البارد، وإن كان في جو بارد فإجازته في جو معتدل؛ فإن كان في بيئة صحراوية تطلع إلى أن يذهب إلى بيئة يتوفر فيها البحر، بما فيه من الوسائل التي أعدها المسؤولون عن السياحة، لجذب السائح، وتهيئة كل الإمكانات التي تجعله يحسّ أنه حصل على بغيته، مما يغريه أن يتطلع في المستقبل إلى العودة إلى هذا المكان.

وساكن البيئة الصحراوية قد يتطلع إلى بيئة خضراء، فيها من الأشجار والأعشاب

والزهور ما يجعله يشعر، فعلاً، أنه اقتلع نفسه من بيئة تعب إلى بيئة راحة.

وتطور أمر الإجازة إلى أن بعض القادرين أمّنوا لهم سكناً في بلدان غير بلادهم، هيؤا فيه جميع وسائل الراحة، مما جعل ذهابهم إلى هذه البلدان منتظماً كل عام، في أوقات محددة من العام، لقد أصبح هذا المسكن جاذباً، ويكاد صاحبه يسمع له صوتاً يأتيه يحثه على المجيء، وعدم الانقطاع. وعدم الاستجابة لهذا الصوت تثير شيئاً من تأنيب الضمير، لأن صوت البيت أصبح جزءاً من صوت الأسرة؛ إنه يريحهم عندما يأتون، بما فيه من وسائل الراحة الثابتة، مما يجعلهم لا يحملون همّاً لجلب بعض الحاجات، فهي موجودة

أمامهم، وكلما خف حمل الأغراض في السفر خف همّ المسافر.

وقد لا يكون هذا البيت هو الوحيد، فقد يزاحمه بيت آخر، في بلد آخر، أو شقة، وحينئذ يكون لدى الأسـرة خيار في الاصطياف في هذا أو ذاك.

وعادة تكون القيـادة، في أول الأمر، في يد الزوج، فهو الذي يقرر السفر أو عدمه، ويقرر إلى أي مكان تذهب الأسرة، إذا تقرر السفر، ثم تبدأ الزوج تدريجاً تشارك زوجها في القرار، ثم يكبر الصغار، ويصبح لهم تطلع إلى أن يكون لهم مشـاركة في الاختيار، ثم يصبح رأيهم، مـع الوقت، ملزماً، والزوج تجنح مع رغبة أبنائها وبناتها.

لقد أصبحت الإجازة عمـــوداً في خيمة حياة بعض الأسر، ويخالطها أحياناً شيء من المفاخرة عنـــد العودة، فيما رأوه أو عملوه، يكون مجـــالاً للمباهاة لكل فـــرد من أفراد الأسرة، فالأب يجد في هذا مجالاً للمزاينة عند زملائه في العمل، والزوج يكون هو سلوتها مع صويحباتها في جلسة شاي الضحى، أو في عملها إن كانت عاملة، والأبناء والبنات في مدارسهم.

وهذا فيه شبه إغراء لمن لم يذهب أن يذهب، وقد دخل الأمر مرحلة اعتبار الإجازة خارج البلاد واجباً يســـتغرب صاحبه من الذين لم يسافروا، ولا يقبل عذر الفقير الذي لا تسمح له إمكاناته المالية بالسفر، والعتب آت آت،

حتى يضطر الفقير إلى الاستدانة ليسكت زقزقة أطفاله، وتلميح زوجه.

ووصل الأمر أن أصبح أهم سؤال يُلقَى بين الناس بعد الصيف، أو بعد الأعياد، أين قضيت الإجازة، وويل ثم ويل لمن لم يذهب إلى إجازة. فإذا رد على السائل إني لم أذهب، جاءه تساؤل استغراب: "لم تذهب؟!"، لماذا، وكيف "طقْت" الصيف هنا، وإن كان ممن "يمون" علَيك قال: والله ضاع عليك نصف عمرك. وإذا كان السائل ممن بينك وبينه مسافة، فإنه يسكت وفي عينيه خليط من الغرابة، وربما الازدراء، والأسى لك.

وأنتقل إلى جانب آخر من جوانب الإجازة، وهي عندما يسأل المقيمُ العائد من الإجازة:

كيف كنت تزجي الوقت؟ فيقول أحياناً أقوم بالالتقاء مع بعض الإخوان في إحدى صالات الفنـــدق، فنجلس نتحدث، إلى وقت الغداء أو العشـــاء، وأكثر الأحيان أبقى في المسكن مع صديقي الكمبيوتر، أو خديني الجوال.

أما "المدام" فهي تخرج من البيت، وتلتقي بزميلات لها، أو هي وحدها، تذهب من "مول" إلى "مول"، ومن "سوبر ماركت" إلى آخر، وقد يكون في ذهنها شـــيء، ولكنها تشتري أكثر منه مما لم تكن فكرت في شـــرائه. وما يغيظ هو أنها تســـألني عن رأيي فيما ابتاعته، فأمتدحـــه مدح "خطيبـــة" العريس. وأنا في نفسي أدعو عليها، وعليّ وعلى البلد الذي نحن فيه، وعلـــى أصحاب الدكاكين، وأحمد

الله أني لم أخرج من البيت.

ولهؤلاء وأمثالهم، أتقدم إليهم، وهم يقرؤون "للقراءة في الإجازة" فأقول: إني جئت أواسي المجبر منكم على الإجازة، وأبحث عما يدخل البهجة على نفسه، وأخلط بين الطرافة والمنفعة، فأرجو أن أوفّق في اختيار النصوص التي تجعل الابتسامة لا تفارقه.

حتى لو لم يُقرّ المسافر بمتاعب السفر أؤكد أنا أن السفر لا يزال، كما قال الأولون قطعة من جهنم؛ فحجز مقاعد في الطائرة يحتاج إلى جهد وجهاد، ويتبع هذا الانتظار، وأشد منه عندما يكون المسافر على "قائمة الانتظار". وقد يلجأ إلى الوساطة ممن هم أثقل من الصخر على قلبه، ويأتي بعد ذلك التأخير. وقبل هذا

يأتي اختيار الفندق والحجز فيه، وعند العودة يمر أحدهم بالأمر نفسه.

بعض من طلب من الإجازة الراحة قابلهم الشقاء، ومثلهم مثلنا عندما نستقدم الخدم أو السائقين أو الحراس، أو المزارعين، ليساهموا في راحتنا، وهناء معيشـــتنا، فنجد منهم ما يشـــقينا بهروبهم، أو سوء عملهم، أو النزاع بينهم، وقبل ذلك خطوات جلبهم.

وهكذا هي الحياة، عناء وتعب، خلال ذاك ضياء، نشـــكر الله عليه، ونرجو منه حسن العاقبة.

(ب)

هذا جانب أردت أن أضعه بين يدي كتابي هذا، ومحاولة إدخال السرور والراحة مما قد يستدعي الضحك، والضحك لا يخلو من منتقدين، ولكني وضعت قيادي في يد من سوّر علمه بسور من القوة يحميني بإذن الله من النقد، وهو الشيخ الإمام أبي الفرج عبدالرحمن ابن علي بن الجوزي. وقد أسهب في مقدمة كتابه: "أخبار الحمقى والمغفلين" في تبرير اختياره لهذا الحقل غير الجاد، وجاء بالحجج الدامغة، والنصوص المقنعة في حِلّ اللجوء إلى ما يجلب البهجة والحبور من القصص، التي تأتي وسيلة إحماض بعد الجهد، وتغيير جو الجد إلى ما يزيل الملل، ويأتي بالإنعاش.

لقد تحدثت في كتابي: "أي بني" قبل سنوات عن الإجهاض، واختياري له وسيلة لإبعاد الملل، وبررت ذلك حينئذ بما توفّر لي من الأدلة.

لقد سعدت عندما قرأت مقدمة هذا الإمام الفاضل لكتابه "أخبار الحمقى والمغفلين"، واستفدت علماً واسعاً بما أورده من نصوص، وهو العالم النحرير في أمر الرواة، وقوة النصوص التي يأتي بها، مؤكدة أنه لم يختر هذا النهج إلا عن بصيرة، ولم يقدم عليه إلا عن اقتدار. لهذا لا أجد غضاضة أن أنقل مقدمته - رحمه الله - في صدر كتابي هذا، لأني لا أتصور أني، أو أي أحد، سوف يجمع مثل هذه الأدلة، أو يدخل الطمأنينة إلى القارئ

مثله. لهذا قررت طائعاً مختاراً أن أنقل من مقدمته ما يتصل بموضوعنا هذا.

عدّد - رحمه الله - أسباب تأليفه كتابه هذا بأمور قال إن ثالثها:

"والثالث:

أن يروح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المبخوسين حظوظاً يوم القسمة، فإن النفس قد تملّ من الدُّؤوب في الجدّ، وترتاح إلى بعض المباح من اللّهو.

وقد قال رسول الله ﷺ لحنظلة: "ساعة وساعة".

وعن حنظلة الكاتب أن النبي ﷺ ذكر الجنّة والنار، وكنا كأنا رأينا رأي

عين. فخرجت يومـــاً فأتيت أهلي، فضحكـــت معهم، فوقع في نفســـي شيء، فلقيت أبا بكر، فقلت:

إني قد نافقت.

قال: وما ذاك؟

قلت: كنت عند النبي ﷺ، فذكر الجنة والنار فكنا كأنا رأينا رأي عين، فأتيت أهلي، فضحكت معهم.

فقال أبو بكر: إنا لنفعل ذلك.

فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال:

يا حنظلة لو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطريق. يا حنظلة،

ساعة وساعة.

وقال علي بن أبي طالب:

روّحوا القلوب، واطلبوا لها طرف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان.

وقال أيضاً:

إن هـــذه القلوب تمـــلّ كما تمل الأبدان، فالتمســـوا لها من الحكمة طرفاً.

وعن أسامة بن زيد قال:

روحوا القلوب تعي الذكر.

وعن الحسن قال:

إن هذه القلوب تحيا وتموت، فإذا حييت فاحملوها علـــى النافلة، وإذا ماتت فاحملوها على الفريضة.

وعن الزهري قال:

كان رجل يجالس أصحاب رسول الله ﷺ ويحدثهم، فإذا كثروا وثقل عليه الحديث قال:

إن الأذن مجاجة، وإن القلوب حمضة، فهاتوا من أشعاركم وأحاديثكم.

وقال أبو الدرداء:

إني لأستجم نفسي ببعض الباطل، كراهية أن أحمل عليها من الحق ما يملها.

وعن محمد بن اسحق قال:

كان ابن عباس إذا جلس مع أصحابه حدثهم ساعة، ثم قال: حمضونا، فيأخذ في أحاديث العرب،

ثم يعود يفعل ذلك مراراً.

وعن الزهري، أنه كان يقول لأصحابه:

هاتوا من أشعاركم، هاتوا من حديثكم، فإن الأذن مجة، والقلب حمض.

وقال ابن اسحق:

كان الزهري يحدث ثم يقول: هاتوا من طرفكم، هاتوا من أشعاركم، أفيضوا في بعض ما يخف عليكم، وتأنس به طباعكم، فإن الأذن مجاجة والقلب ذو تقلب.

وعن مالك بن دينار، قال:

كان الرجل ممن كان قبلكم إذا

ثقل عليه الحديث قال:

إن الأذن مجاجـــة، والقلب حمض، فهاتوا طرف الأخبار.

عن ابن زيد قال:

قال لي أبي: أن كان عطاء بن يسار ليحدثنا، أنا وأبا حازم، حتى يبكينا، ثم يحدثنا حتى يضحكنا، ثم يقول: مرة هكذا ومرة هكذا.

قلت:

وما زال العلماء والأفاضل تعجبهم المُلَح، ويهشون لها، لأنها تجم النفس، وتريح القلب من كد الفكر.

وقد كان شـــعبة يحدث، فإذا رأى المريد النحوي قال: إنه أبو زيد

استعجمت دار نعم ما تكلمنا
والدار لو كلمتنا ذات أخبار

وقد روينا عن ابن عائشة أحاديث أملاحـــاً في بعضها رفث. وإن رجلاً قال له: أيأتي من مثلك هذا؟

فقال له: ويحك، أما ترى أسانيدها؟ ما أجد ممن رويت عنه هو أفضل من جميع أهل زماننـــا، ولكنكم ممن قبح باطنه فرأى ظاهره، وإن باطن القوم فوق ظاهرهم.

ووُصف رجل من النســـاك عند عبيدالله ابن عائشة، فقالوا:

هو جد كله.

فقال: لقـــد أضاق على نفســـه

المرعـــى، وقصّر لها طول النهى، ولو فككها بالانتقال من حال إلى حال، لتنفس عنها ضيـــق العقدة، وراجع الجد بنشاط وحده.

وعن الأصمعي قال:

سمعت الرشيد يقول:

النوادر تشـــحذ الأذهان، وتفتق الآذان.

عن حماد بن سلمه أنه كان يقول:

لا يحب المِلح إلا ذكران الرجال، ولا يكرهها إلا مؤنثهم.

وعن الأصمعي قال:

أنشدت محمد بن عمران التميمي، قاضـــي المدينة، وما رأيت في القضاة

أعقل منه:

يـــا أيها الســـائل عن مترلي
نزلت في الخان على نفســـي
يغدو عليّ الخبـــز من خابز
لا يقبـــل الرهن ولا يُنســـي
أَكل من كيسي ومن كسوتي
حتى لقد أوجعني ضرســـي"

انتهت مقدمة الإمام أبو الفرج ابن الجوزي، وهي وافية شـــافية. ومن أراد أن يرجع إلى نصها فهي بين صفحتي (١٦ و١٩) من أخبار الحمقى والمغفلين.

ومن التمعن فيما مر من أقوال، وما اقتبس من نصـــوص يتبين أن أمر الراحة بعد التعب طبعي في حياة الإنسان، فإن كان أمر إراحة

الجســـم واضحاً ومعروفاً، فراحة الفكر هي التي تحتاج أن يتبصر بها، ويبين حكم العلماء فيها، فركز ابن الجوزي على إراحة الفكر، ومتعة النفس بعد إجهاد الذهن، وإن في هذا إعادة لنشاطه، ليستوعب من العلم أكثر.

ولعله من المناسب أن آتي ببعض النماذج ممـــا اختاره ابن الجوزي في كتابه هذا. وهذه القصة إحداها:

"عن إسماعيل بن زياد قال:

نشزت على الأعمش امرأته، وكان يأتيه رجل يقال له "أبو البلاد" فصيح يتكلم بالعربية، يطلب منه الحديث.

فقال له: يا أبا البلاد: إن امرأتي قد نشزت عليّ، وغمتني، فادخل عليها،

واخبرها بمكاني من الناس، وموضعي عندهم.

فدخل عليها، فقال:

إن الله قد أحسن قسمك، هذا شيخنا وسيدنا، وعنه نأخذ ديننا، وحلالنا وحرامنا. لا يغرّك عموشة عينيه، ولا خموشة ساقيه.

فغضب الأعمش عليه، وقال:

أعمى الله قلبك، قد أخبرتها بعيوبي كلها، أخرج من بيتي. فأخرجه".

(كتاب الحمقى والمغفلين: ١٤٥).

وعرف عن ابن عمر أن له روحاً مرحة، ولهذا لا غرو أن يختار له ابن الجوزي نصاً

يؤكد أنه وأمثاله الروح الإنسانية لا تغيب عنه وعنهم. وما قاله يذكر بما قاله الرسول ﷺ للمرأة عندما حدثته عن زوجها، أهو الذي في عينه بياض، فظنت أن في عيني زوجها ما يعيب، فعلمت فيما بعد أن كل إنسان في عينيه بياض.

وهذه قصة ابن عمر التي تسير على قضيب واحد مع قصة الرسول ﷺ:

"عن نافع قال:

كان ابن عمر يمازح جارية له فيقول:

خلقني خالق الكرام، وخلقك خالق اللئام، فتغضب، وتصيح وتبكي ويضحك ابن عمر".

(كتاب الحمقى والمغفلين: ١٤٥)[1].

كلمـــا أردت أن أكتفي بما اقتبســـته من نصوص هذا الكتـــاب اقنعتني قصة بأنها مما ينقل، لســـبب أو آخر، ونقلي للقصة الآتية أنها ذكرتني بقصـــة لأحد مواطني في عنيزة، ويعد من المغفلين حقاً، والقصة كالتالي:

"اعتاد أحد الخيّرين أن يكســـب أجر أحـــد المغفلين، فكان يدعوه إلى بيتـــه ويقدم له تمراً، وهـــذا غاية ما يتمناه الضيف، وكان يثني على فعل هذا الكـــريم. فلما سمعه أحد الخبثاء

---

(١) من أراد المزيد فليرجع إلى كتاب "المراح في المزاح" لبدر الدين الغزي في مجموعة الرسائل الكمالية (١٢) في الملح واللطائف.

قال له:

إنه لا يدعوك حُبّاً فيك، أو أملاً في الأجر، إنه يدعوك، حتى تهيئ النوى لعتر عنده.

فقال المغفـــل: والله لا أكل عنده بعد اليوم تمراً".

هذه القصة تذكرتها عندما قرأت قصة في كتاب أخبار الحمقـــى والمغفلين، وهي قصة مشـــابهة في الحماقة والحمقـــى للقصة التي رويتها.

"قال بعضهم:

رأيت رجلاً محمومـــاً، مصدعاً، يأكل التمر ويجمع النوى، فقلت:

ويحك، أنت بهـــذه الحال وتأكل التمر؟

فقال: يامولاي عندي شاة تُرضع وما لها نوى، فأنـــا آكل التمر، مع كراهيتي له لأطعمها النوى.

فقلت:

اطعمها التمر والنوى.

قال: أو يجوز ذلك؟

قلت نعم:

قال: والله لقد فرجت عني، لا إله إلا الله، ما أحسن العلم".

(كتاب الحمقى والمغفلين: ١٦٨).

والقصة الأخرى الـــتي تذكرتها وأنا أقرأ

القصـــة التي جاء بها ابن الجوزي، ســـبق أن ذكرتها في أحد أجزاء كتابي "وسم على أديم الزمن" وملخصها ما يلي:

"كان رجل يطـــرق بتوال طريق عنيزة ومكة جيئة وذهاباً، وســـيارته سيارة نقل كبيرة، وفي مطلع يوم من الأيام، وهـــم في البر، يتناولون طعام الإفطار والقهوة، ومالك السيارة إذا بدأ الكلام نسي نفسه، وبقدر ما هو كثير الكلام كان ابنه خلافه.

رأى الابن حية مقبلة عليهم، فأخذ بصوت هادئ ينبـــه والده أنها مقبلة عليهم، ووالده منسجم في الحديث، والابن يربت على فخذ أبيه.

وأخيراً التفت الأب إلى الابن بحنق، وقال له:

ماذا تريد؟ ماذا تريد؟ لقد حفرت في فخذي بئراً، فماذا تريد؟

قال الابن بكل هدوء:

أقول انظر إلى الحية.

فقفز الأب، وقال:

ما هذا البرود، المفروض أن تهزني من أكتافي، وتقول لي بصوت عال: انظر إلى الحية مقبلة".

أما القصـــة التي أوردها ابـــن الجوزي، وذكرتني بالقصة التي أوردتها، فها هي:

"كان بسجستان شـــيخ يتعاطى

النحو، وكان له ابن، فقال لابنه:

إذا أردت أن تتكلم بشيء فاعرضه على عقلك، وفكر فيه بجهدك، حتى تقوّمه، ثم أخرج الكلمة مقوّمة.

فبينما هما جالسان في بعض الأيام في الشتاء، والنار تتقد، وقعت شرارة في جبـــة خزّ كانت على الأب، وهو غافل، والابن يراها، فسكت ساعة يفكر، ثم قال:

يا أبت، أريد أن أقول شيئاً، فتأذن لي فيه؟

فقال أبوه:

إن حقاً فتكلم.

قال: أراه حقاً.

فقال: قل لي.

قال: إني أرى شيئاً أحمر.

قال: وما هو؟

قال: شرارة وقعت في جبتك.

فنظر الأب إلى جبته، وقد احترق منها قطعة.

فقال للابن:

لِمَ لم تعلمني سريعاً؟

قَال: فكـــرت فيه كما أمرتني، ثم قومت الكلام، وتكلمت فيه.

فحلف أبوه بالطلاق أن لا يتكلم بالنحو أبداً".

(أخبار الحمقى والمغفلين: ١٨٠).

لقد دخلت في هذا الكتاب القيّم إلى رياض غناء، وأكاد لا أخرج منها، وما لي أمنية إلا أن يكون القارئ معي. وأرجو ألا يحرم نفسه من اقتنـــاء الكتاب وقراءته بأكمله، ولعلمي بما يتكبده السائح من مصاريف، أبعدت ما يمكن أن يكلّفه إياه شراء كتابي هذا، فجعلت ثمنه ثلث تكلفة طبع النســـخة، وهذا جعل بعض الموزعين لا يحرص على توزيعه، لأن ما يخصه مقابل بيعه قليل. أوجب أن أقول هذا من باب الشفافية، المبتغاة في هذه الأيام.

(ج)

الهدف من هذا الكتاب هو تسلية القارئ بقصص وحوادث من التراث الأدبي العربي، هي غلاف لفوائد جمة، فيها العلم، وفيها التجارب، وفيها المواعظ وفيها الكشف عما بداخل النفوس، والوسائل لذلك، وفيها العبر، وفيها الحِكم، وفيها من المعلومات المفيدة ما قد لا يتبين إلا للمتمعن والمتدبر في هذه النصوص، وألا يكفيه ظاهرها مما يغتصب الضحكة بل والقهقهة أحياناً، وفي عمقها درر العلم والمعرفة والعظة وغيرها.

كان بإمكاني أن أختار النصوص حسب وفائها بالغرض الذي اخترتها له، دون ربط ذلك بخطة تحكمني، وتوجب عليّ الاستقصاء

والمتابعة والبحث، ولكن هذا جاء دون بعد طموحي في السير في هذا الأمر. فاخترت بعض الأشخاص الذين عُرفت أقوالهم بالنُّدرة، أو الطرافة، أو السخرية، أو التهكم، وأصبحوا أعلاماً في ذلك، في وقتهم وبعد وقتهم، حتى أغرى ما كان منهم الكتاب والأدباء برواية ما جاء منهم، فامتلأت كتب الأدب والتاريخ بما اقتبس مـــن أقوالهم، وتعددت الروايات، واختلفت أحياناً.

صممـــت على أن أجعـــل النصوص التي أختارها مما كان قاله هذا الشخص الموهوب، وهذا جعلني أقضي شهوراً في تتبع ما خلفوه مـــن أدب مضيء في كتـــب متعددة. وهذا البحث أفادني كثيراً، فعرفت في هذا الجانب

ما لم أعرفه من قبل. والتعب نفسه ملأ نفسي حبوراً، لأني لم أبحث عن الطرق السهلة، فأقْتَصِرُ على كتاب أو كتابين استقي منهما الطرائف المبهجة التي في ذهني، وقد تكون في يوم من الأيام كتاباً مختلفاً.

تجنبت، كما قلت، مناقشة أمر صحة النص، ونسبته إلى صاحبه، والدخول في تحاليل ذهنية تنسي الهدف الذي من أجله فُكر في الكتاب، والدخول في مثل: هل الأصمعي قال هذا، أو عُلِّق على مشجبه، أو هل هو صادق فيما قال، أو أمر اخترعه لسبب أو آخر.

هذا عمل "أكاديمي" وكتابنا هذا بعيد عن ذلك، يأتي بالنص وبمن هو منسوب إليه، وينسَى النحل أو التزوير أو الزيادة أو النقص؛

وبهجة بعض النصوص التي يتم تحليلها، يتمنى القارئ لجمالها ولإتقان سبكها وحسن عرضها أنها صحيحة، لأن متعـــة قراءتها طغت على الجوانب الأخـــرى، ولا غرو فالنحل لا يأتي إلا مـــن كاتب يعرف أن القارئ لن يمحص، بل تسكره لذة النص.

حصـــر النص في أشـــخاص معينين يعطي صورة صادقة عن العصر الذي هم فيه، يوضح جوانب المجتمع كلها، فهم جلســـاء ملوك، وأصدقاء علماء، ويمشون في الأسواق لا يخفى عليهم شـــيء، ومن الفوائد التي ذكرت أنها مخبأة فيها، معرفةُ حياة هذا الشخص ومجتمعه بدقة متناهية.

(د)

قد يلاحظ القارئ الكريم أن بعض القصص التي ذكرتها في هذا الكتاب سبق أن وردت في أحد كتبي السابقة، والسبب يعود إلى أمرين:

الأول: أنها تسير في الخط المرسوم لهذا الكتاب، وقد يكون القارئ سبق أن قرأها في أحد كتبي إلا إن تذكيره بها اليوم سوف يفيد، وهي تأتي تحت مخطط آخر، وقد لا يكون قرأها هناك.

الثاني: أنها جاءت تحت اسم الشخص الذي عرف بسيره في الطريق الذي اخترناه، فقد تأتي تحت ما جاء مفصلاً عن الأصمعي أو الأعمش أو الشعبي، فالنص يكمل الصورة التي كان عليها أحد هؤلاء العلماء.

(هـ)

بعد أن كمل الكتاب تبين أن حظ الأصمعي منه كان وافياً، وأخـــذ من الصفحات ما لم يأخذه أي من المواضيع الأخرى في الكتاب.

لعل السبب في هذا وفرة ما روي عنه؛ لما يحتويه مما يجذب الناس، فمن موضوع فَكه، إلى موضوع مفيد، إلى قصة ممتعة، وفوق ذلك كثرة النـــوادر التي تلفت النظر، وكان منبع ذلك مجتمع البادية الذي اجتذب الأصمعي، حتى جـــاء أغلب ما روي عنه عن الصحراء وساكنها.

والله الموفق.

ثلاثة قناديل

ثلاثة قناديل أضاءت في زمنها محيط الأدب، تداول الأدباء قصصهم، وتلقوا، بترحاب، أقوالهم الغريبة أو العجيبة، أو الطريفة بالترحيب والإشاعة.

ولطرافة ما يأتي منهم، وبروز جوانب الفكاهة فيه أو الغرابة أو الندرة جاء فيما بعد من جعلهم مشجباً يعلقون عليه ما عنّ لهم مما فيه روحهم، فاختلط الأصل بالمعلق تزويراً، وإن كان لا يقل عنه طرافة ولفت نظر.

هؤلاء الثلاثة هم: الأعمش والشعبي والأصمعي وهم قليل ممن زخرت كتب الأدب والتاريخ بدرر أقوالهم، وأفعالهم، وما

لهم من تصرفات في الحياة، جعلت لهم المكانة التي احتلوها، وبقيـــت أسماؤهم مخلدة على رفوف المكتبات العربية.

وما جاء منهم في حقولهم التي برزوا فيها، وعرفوا بها جاء نتيجة سليقة وجبلّة، وثقافة مستقاة، وعلم صاف واف كافٍ في أن يجعلهم هدفـــاً للفتوى ومقصداً لـــترّح المعلومات، والاستشارة، أو التقريب من حاكم.

وأحد أســـباب اختيارهـــم وما جاء على ألســـنتهم، وروي عنهم هـــو أن فيما اختير يتناسب مع روح الإجازة، التي أحد أهدافها، على الأقل المعلنة! الراحة التامة، والاستعداد الجاد للعمل بعدها، وهؤلاء هم خير من يختار لهذا الهدف، وسوف يؤكد هذه الدعوى ما

اقتبس مما جئت به عنهم.

أقول مقدماً أني سوف لا أقوم بما اعتدت أن أقوم به، من فحص جوانب القصة، وهل هي صحيحة أو مؤلفة مزورة، لأن هذا يضيع جزءاً كبيراً من البهجة، وأقول مع المثل العامي "دخْل الدخيل وسِـــلم"، وحصان أهدي لي، كَما يقول الإنجليز، ليس من اللائق أن "أفرّ" فمه، وأنظر سنّه، فالهدية ليست بقيمتها، وإنما بنية المحبة التي تكمن وراءها.

أحتار الآن بأي الثلاثة أبدأ، وسوف أضرب "القرعة" بينهم، والمحاسَب هو "القرعة" لا أنا.

الأصمعي

دعـــني، أيها القـــارئ الكـــريم أقدم لك الأصمعي باختصار:

هـــو أبو ســـعد عبدالملك بـــن قُرَيْب بن عبدالملـــك. ويعود إلى قيس عَيلان. صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح.

وهو من أهل البصرة، وقدم إلى بغداد أيام الخليفة هارون الرشـــيد. روي عنه أنه يحفظ ست عشرة ألف أرجوزة. وله كتب مطبوعة وكتب لم تطبع.

وقصص الأصمعـــي ومروياته في الأغلب عن البادية، وهو كثير الذهاب إلى مضارب خيامهم، ونقل بعض الأمور عنهم، وهي في

الغالب غريبة.

ومن ميزاته – كما روي – أنه يحفظ الشعر من أول مرة، ولهذا حظيت أخباره بما يوشّيها من الأشعار.

ويستقي بعض أخباره أحياناً من زيارته للمقابر، ولا يعود من هذه الزيارات إلا بأخبار طريفة، عن زوار القبور، الذين جاءوا يستعيدون ذكريات حب ووجدان.

حديث الأصمعي والرشيد والجارية:

هذا الخبر ورد في "أخبار النساء" لابن الجوزي:

"قال الأصمعي:

قال لي الرشيد امض إلى بادية البصرة، فخذ من تُحَف كلامهم،

وظرف حديثهم؛ فانحدرت، فنزلت عند صديـــق لي بالبصرة، ثم بكرت أنا وهو إلى المقابر. فلما صرت إليها إذ بجارية نادى إلينا ريح عطرها قبل الدنو منها، عليهـــا ثياب مصبغات وحُلى، وهي تبكي أحر بكاء.

فقلت: يا جارية ما شأنك؟

فأنشأت تقول:

فإن تسألاني فيم حزني فإنني
رهينـــة هذا القبر يـــا فتيان
أهابك إجلالا وإن كنت في الثرى
مخافة يوم أن يســـؤك مكاني
وإني لأستحييك والترب بيننا
كما كنت استحييك حين تراني

فقلنا لها ما رأينا أكثر من التفاوت بين زيك وحزنك، فاخبري بشأنك؟

فأنشأت تقول:

ياصاحب القبر يامن كان يؤنسني
حيّا، ويكثر في الدنيا مواساتي
أزور قبرك في حلي وفي حِللي
كأنني لست من أهل المصيبات
فمن رآني رأى عبرى مفجعة
مشهورة الزي تبكي بين أموات

فقلنا لها: وما الرجل منك؟

قالت: بعلي. وكان يحب أن يراني في مثل هذا الزي، فآليت على نفسي ألا أغشى قبره إلا في مثل هذا الزي؛ لأنـــه كان يحبه أيام حياته، وأنكر تماه

أنتما عليّ.

قال الأصمعي:

فسألتها عن خبرها ومترلها.

وأتيت الرشيد، فحدثته بما سمعت ورأيت، حتى حدثته حديث الجارية، قال:

لابد أن ترجع حتى تخطبها إليّ من وليّها، وتحملهـــا إلي، ولا يكون من ذلك بد.

ووجّه معي خادماً ومالاً كثيراً.

فرجعت إلى أهلها فأخبرتهم الخبر، فأجابوا وزوجوها من أمير المؤمنين، وحملوها معنا، وهي لا تعلم.

فلما صرنـــا إلى "المدائن" نما إليها

الخبر، فشهقت شهقة فماتت، فدفناها هناك.

وسرت إلى الرشيد فأخبرته الخبر، فما ذكرها وقتاً من الأوقات إلا بكى أسفاً عليها.

(صفحة ١١٢).

تذكر أيها القارئ الكريم أني قلت – قبل ذلك – أني لن أناقش الخبر، أو أحلله، فأبين مداخل الخلل إن وُجِدت، لئلا أضيع عليك لذة التصور.

وسنبقى مع الأصمعي في قصة أخرى وردت في كتاب "أخبار ابن الجوزي":

حديث الأصمعي والفتى الثقفي:

"قال الأصمعي:

كان فتى من ثقيف شـــديد الحياء، كريماً أديباً، فبينما هو جالس إذ مرت به امرأة من أجمل النساء، فلم يتمالك أن قام من الحياء من مجلســـه، ليعلم مـــن هي، وأين تريد. وقد كلف بها، واشتد عشقه لها، فأتبعها حتى دخلت منزل أخيه، فإذا هي امرأته.

فضاق به الأمر، ولم يدر ما يصنع، وكتم شأنه، وجعل ما به يزداد كل يوم حتى نحل جســـمه، فأنكر شأنه أخوه وأهله، وســـألوه عما به، فلم يخبرهم بشيء من أمره.

فدعا أخوه الأطباء، فعالجوه، فلم يغنوا عنه شـــيئاً. فلما أعياهم ما به، وزاد سقمه، سلّمه أخوه إلى الحارث ابن كلدة، وكان من أطباء العرب، فنظر إليه الحارث، فلـــم يَرَ بِه داءاً ينكر، غير أنه ظن أنه عاشق.

فخلا به الحارث فســـأله، فأبى أن يقر له بشـــيء، فلمـــا أعيا الحارث جعل يســـأل عن أسمائهـــم وأسماء نسائهم، والفتى ملقى بين يديه. كلما سُميت امرأة منهم نظر الحارث وجه المريض، حتى جاء اسم امرأة أخيه، فارتاح وتنفـــس، واغرورقت عيناه بالدموع.

فعلم الحارث أمره، وقال لأخيه:

اذهب فجئني بجميع أهليكم، ولا يتخلف عني أحد منهم امرأة ولا رجلاً، فإني قد وقعت على دائه.

فخرج أخوه حتى أتى أهله، فجمعهم في مترل، ونقل الحارث المريض إليهم، وقال:

لا يغيبن عنه امرأة ولا رجل.

فلما نظر الرجل إلى امرأة أخيه خفّ عنه بعض ما كان يجده. فعرف الحارث ذلك منه، فأمر بشاة فذبحت، وأخرج كبدها فوضعها على النار، ثم أطعمه منها فأكل، ثم مزج له شربة خفيفة فسقاه، وفعل ذلك به

أياماً يزيده في كل يوم شـــيئاً قليلاً في مطعمه ومشربه؛ فحسنت حاله، ورجع إليه بعض جسمه.

فلمـــا رأى الحارث أنه قوي بعض القوة صنع له طعاماً، وهيأ له شراباً، ثم أحضر الفتى وأخاه فطعما وشربا وأمر الحـــارث أخـــاه أن ينصرف، وقام هو ووكّل هو بالفتى من يسقيه ويغنيه، وقـــال: احفظ حديثه، وكل مـــا يتكلم به، وحدثـــه كل حديث تعرفه في العشـــق، وأخبار العشاق، وأشعارهم.

فلما أخذ الشـــراب في الفتى تغنى "من مجزوء الخفيف":

أهـــل ودّي ألا اســـلموا
وقفـــوا كـــي تكلمـــوا
أخـــذ الحـــي حظهـــم
مـــن فـــؤادي وأنعمـــوا
فهمومـــــــي كثـــــــيرة
وفـــــــؤادي متيـــــــم
وأخـــو الحـــب جســـمه
أبـــد الدهـــر يســـقم

فلمـــا أصبح الحارث، دعا الموكل بالفتى فســـأله، فعرفه بكل شـــيء، فحدثه وأنشد الأبيات التي تغنى بها.

فدعا أخاه فعرّفه أنه عاشق لامرأته، فقال له: يا أخي، أنا أنزل لك عنها، وتتزوجها.

فلما سمعه الفتى اســـتحيا، وخرج هارباً على وجهه، فلم يقفوا له على خبر إلى اليوم، فسمي فقيد ثقيف".
(صفحة ٤٦).

وللأصمعي رواية عن وفاء النساء، وهي تحتوي علـــى أبيات كما هي عادة الأصمعي في رواياته:

وفاء المرأة السلمية:

"حكى الأصمعي عن رجل من بني ضبة، قال: ضلت لي إبل، فخرجت في طلبها حتى أتيت بلاد بني ســـليم، فلما كنت في بعض أَحْومِها (القطيع

من الإبل)، إذا جارية غشى بصري أشراق وجهها، فقالت:

ما بغيتك فإني أراك مولها؟

قلت: إبل ضلت لي، فأنا في طلبها.

قالت: فتحب أن أرشدك إلى من هي عنده؟

قلت: نعم.

قالت: الذي أعطاكهن هو الذي أخذهن، فإن شاء ردهن، فاسأله عن طريق اليقين لا عن طريق الاختيار.

فأعجبني ما رأيت من جمالها، وحسن منطقها.

فقلت لها: هل لك من بعل؟

قالت: كان والله، فدعي، فأجاب

إلى ما منه خُلق. ونعم البعل كان.

قلـــت لها: فهل لك في بعل لا تذم خلائقه، ولا تخشى بوائقه (شروره).

فأطرقت ساعة، ثم رفعت رأسها، وعيناها تذرفان دموعاً، فأنشـــات تقول:

كنّا كغصنين من بان، غذاؤهما
ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث صاحَبها من جنب صاحبه
دهر يكرّ بفرحات وترحات
وكان عاهدني إن خانني زمن
أن لا يضاجع أنثى بعد موتات
وكنت عاهدته أيضاً، فعاجله
ريب المنون قريبا مذ سنيات

فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه
عن الوفاء له خلب التحيات"
(صفحة ١١١).

في أخبار النساء:

ويبقى الأصمعي في روايته عن وفاء النساء، فيأتي بقصة عنوانها في "أخبار النساء":

"قال الأصمعي:

خرج سليمان بن عبدالملك ومعه سليمان بن المهلب بن أبي صفرة من دمشـــق متنزهين، فمرا بالجبانة وإذا امرأة جالسة على قبر تبكي، فهبت الريح، فرفعـــت البرقع عن وجهها، فكأنها غمامة جلت شمســـاً، فوقفنا متعجبين ننظر إليها.

فقال لها ابن المهلب:

يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين بعلاً؟

فنظرت إليهما، ثم نظرت إلى القبر، وقالت:

فإن تســـألاني عن هواي فإنه
بملحود هذا القـــبر، يافتيان
وإني لأستحييه والترب بيننا
كما كنت استحييه وهو يراني"

(صفحة ١٢١).

الصمت حداداً:

ويواصل الأصمعي قصص وفاء النساء:

"قال الأصمعي:

رأيت بالباديـــة أعرابية لا تتكلم، فقلت:

أخرساء هي؟

فقيل لي لا، ولكنهـــا كان زوجها معجباً بنغمتها، فتـــوفي، فآلت أن لا تتكلم بعده أبداً".

(صفحة ١٢١).

قصة المهدي والعاشق:

"حدث الأصمعي قال:

خرج المهدي حاجاً، حتى إذا كنا ببعض الطريق إذا أعرابي يقول:

يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، أنا عاشق – وكان المهدي يحب ذكر

العشاق وحديثهم - موكل به بعض الغلمان.

فلما نزل أمر بإحضاره، قال:

أنت المنادي؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين.

قال له: ما اسمك؟

قال: أبو ميّاس.

قال أمير المؤمنين: من عشيقتك؟

قال له: ابنـــة عمي، وقد أبى عليّ أبوها أن يزوجنيها.

قال: لعله أكثر منك مالاً؟

قال: أنا أكثر منه مالاً.

قال له: فما قصتك.

قال له: ادن رأسك مني.

فجعل المهـــدي يضحك، وأصغى إليه برأسه.

قال له: إني هجين.

قال له: ليس يضرك ذلك أخو أمير المؤمنين وأكثر أولاده هجناء.

ثم قال له: وأين عمك؟

قال له: على ثلاثة أميال.

قال: فأرسل أمير المؤمنين في طلبه، فجيء به، فقال له:

ما لك لا تزوج أبا ميّاس، فإني أرى عليه نعمة؟

قال: متاع شرّ، وليس مثلي يزوج مثله.

قال: فإن الـــذي كرهت ليس مما

يعاب به عندنا، وأنـــا معطٍ صداق ابنتك عشرة آلاف درهم، ومعوضك مما ذكرت عشرة آلاف درهم.

قال: فذلك لك.

فخرج أبو ميّاس، وهو يقول:

وابتعت ظبيـــة بالغلاء وإنما
يعطـــي الغلاء لمثلهـــا أمثالي
وتركت أسواق القباح لأهلها
إنّ القباح وإن رخصن غوالي"

(القباح) النساء القبيحات.

(صفحة ١٧١).

وننتقل إلى كتاب "المختار من نوادر الأخبار" للأنباري، نتعقب بعض طرائف أخباره، فأول

ما يقابلنا قصة عن الكريم المحتجب. وفي هذه القصة تبـــدو روح الأصمعي ظاهرة: أعجبه أمر، فأخذه إلى الخليفة المأمون، ليتحفه به:

عن الكريم المحتجب:

"حدث الأصمعي قال:

كنت أغشى رجلاً لكرمه، فأتيته بعد مدة فوجدته قد أغلق بابه، ولزم بيته، فأخذت ورقة، وكتبت فيها هذا البيت:

إذا الكـــريم لـــه حجـــاب

فما فضل الكريم على اللئيم

وبعثـــت بها إليـــه. ووقفت انتظر الجـــواب، فعادت وعلى ظهرها هذا

البيت:

إذا الكـــريم قليـــل مـــال

تســـتّر بالحجاب عن الغريم

ومع الورقة صـــرة فيها خمس مئة دينار.

فقلـــت: والله لأتحفن أمير المؤمنين بهذه الحكاية. فأخذت الصرة والرقعة، ومضيت إلى المأمون، فدخلت عليه.

فقال: من أين يا أصمعي؟

فقلت: من عند أكرم الناس، حاشا أمير المؤمنين.

ثم قصصت عليه القصة، ووضعت الصرّة والرقعة بين يديه؛ فتأمل الصرة، وقال:

يا أصمعي، هذه الصرة بختم بيت المال، فأحضر الرجـــل الذي دفعها إليك.

فقلت: الله يا أمير المؤمنين، الرجل قد أولاني خيراً.

قال: لا بد منه.

قلت: غير مروع.

قال: غير مروع.

فعرّفته مكانه، فبعث إليه فحضر، فلمـــا مثل بين يديه، جعـــل المأمون يتوسّمه وينظر إليه، ثم قال:

الست الرجل الذي وقف بموكبنا بالأمس، وشكا إلينا رقة حاله، وكثرة عياله؟

قال: بلى، يا أمير المؤمنين.

قال: وأمرنا لك بخمس مئة دينار؟

قال: نعم، وهي هذه.

قال: ولِـــمَ دفعتها للأصمعي على بيت واحد من الشعر؟

قال: اســـتحييت من الله – تعالى – أن أرد قاصـــداً إلا كما ردّني أمير المؤمنين بالأمس.

قال: لله درك! مـــا أكرم خلقك وأوفر مروءتك!

ثم أمر له بألف دينـــار، فأخذها، وانصرف.

قال الأصمعـــي: فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يلحقني به.

قال: لا، نحـــن نكمل لك الألف،
فأمر للأصمعي بكمالها".
(صفحة ٢٣).

من جود طلحة الطلحات:

والقصة الآتية ســـبق أن استشهدت بها في أحد كتبي، وأعيدها هنا لصلتها بالأصمعي، والحديث عنه:

"روي عن الأصمعي قال:
لقي أعـــرابي "طلحة الطلحات"، فقال:
إن تـــرى أن تفيض عليّ مما أفاض الله عليك.
فقـــال: يا غلام، أُحـــث له مما في

خرجك.

قـــال: فحثا له حـــتى امتلأ كمه دنانير.

فبكى الأعرابي.

قـــال: فقال لـــه: مـــا يبكيك يا أعرابي؟ لعلـــك لم يكفك ما أخذته، واستقللته؟

قال: لا، والله، ولكني أبكي على كريم مثلك يواريه التراب.

فقـــال: يا غلام، ادفع الخرج كما هو.

وقد ذكر أن الأســـخياء من أهل الإســـلام عبدالله بن جعفر، وطلحة الطلحات، وسُمّي بذلك؛ لأنه أجود

من سمي بذلك".
(صفحة ٢٦).

وأسهب الأصمعي في ذكر الأجواد، فروي عنه أنه قال:

"الطلحات الأجواد خمسة:

طلحة بن عبيـــدالله، وهو طلحة الفيّاض.

وطلحـــة بن عمر بـــن عبدالعزيز التميمي، وهو طلحة الجود.

وطلحة بن عبدالله بن عوف، وهو طلحة الندى.

وطلحة بن الحسن بن علي، وهو طلحة الخير.

وطلحـــة بن عبيـــدالله بن خلف الخزامي، وهو طلحة الطلحات".
(صفحة ٢٧).

تعريف القِرى:

البادية هي ملهمـــة الأصمعي في كثير مما روي عنه، والقصة التالية تبين إحدى خرجاته إلى البر، والاختلاط بأهله:

"قال الأصمعي:

حططـــت في بعـــض البـــوادي، فحضرني جماعة مـــن فتيان العرب، فقلت لأحدهم:

ما القِرى؟

قـــالَ: نار يعلو شـــررُها، وخيمة

يوطى كنفها.

فقلت لآخر: كيف القِرى؟

قال: تلقّي الترِيل بالوجه الجميل.

وقال آخر: نار تأجج، وألسنة تَلَهوج.

وقلت لشيخ فيهم: ما تقول؟

قال: تأجَج الضِّرام نستدل به على بيوت الكرام.

وقال آخر: نار قديمة الوقاد، عظيمة الرماد، تُشب بكل واد، ويحيا بها كل العباد.

وقلت لآخر: ممن القوم؟

فقال: مـــن الذين لا تخفى نارهم، ولا يجع جارهم، وحسبُهم في العليا،

أشهر من نجوم السماء.

فانظر يا أخي - رحمك الله - إلى ذكر هؤلاء القوم، بليت أشخاصهم، وتليت مكارمهم، تضرب بها الأمثال، كأن أوقاتهم أضغاث أحلام".

(هذه الفقرة الأخيرة لعلها من تعليق المؤلف المقري الأنباري).

(صفحة ٢٩).

المال أغلى:

هذه من قصص الأصمعي التي أوردها عن ما يجري في بلاط الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وهي قصة واضحة لبعض ما يجري في بلاط الخلفاء من حوار ينتهي بما يلفت

النظر؛ وهي مسجلة في كتاب "العقد الفريد" لابن عبدربه (ص ٢/٤٤٧):

"قال الأصمعي:

دخل أبو بكر الهجري على المنصور، فقال: يا أمير المؤمنين، فُضّ فمي (أي سقطت أسناني)، وأنتم أهل بيت بركة، فلو أذنت لي فقبّلت رأسك، لعل الله يمسك عليّ ما بقي من أسناني.

فقال المنصور: اختر بينها وبين الجائزة.

فقال الهجري: يا أمير المؤمنين إن أهون عليّ من ذهاب درهم من الجائزة ألا تبقى في فمي حاكّة.

فضحك المنصور، وأمر له بجائزة".

مدى مبلغ الحَسد:

يروي الأصمعي في إحدى نوادره ما يبين مبلغ ما يصل حسد الحسود، وهي قصة معبرة حقاً عن هذا الجانب العميق في الحسد، وهي في كتاب: "العقد الفريد" (ص ٢/٣٤٦):

"قال الأصمعي:

كان رجل من أهل البصرة بذيئاً شريراً، يؤذي جيرانه، ويشتم أعراضهم، فأتاه رجل فوعظه، فقال له:

ما بال جيرانك يشكونك؟

قال: إنهم يحسدونني.

قال: على أي شيء يحسدونك؟

قال: على الصلب.

قال: وكيف ذلك؟

قـــال: إقبل معـــي، فأقبل معه إلى جيرانه، فقعد متحازناً، فقالوا:

ما لك؟

قال: طرق الليلة كتاب معاوية أن أصلب أنـــا ومالك بن دينار، وفلان وفلان، فذكر رجالاً من أشراف أهل البصرة.

فوثبوا عليه، وقالوا:

يا عدو الله أنت تصلب مع هؤلاء، ولا كرامة لك.

فالتفت إلى الرجل، وقال:
أما تراهم قد حسدوني على الصلب، فكيف لو كان خيراً".

تصحيح خطأ:

غرام الأصمعي بالبادية ومضاربهم في الصحراء، وهي مما يحرص على عدم الانقطاع عنه، ولا يعدم أن يجد عندهم بعض النوادر التي يتحف بها مجتمعه، والقصة التالية مَثَل على ما ذكرنا:

جاء في الكشكول (ص ٢/١٥٢):

"حكى الأصمعي قال:

كنت أقرأ: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا،

نـــكالاً مـــن الله، والله غفور رحيم"
(المائدة ٣٨).
وبجنبي أعرابي، فقال:
كلام من هذا؟
فقلت: كلام الله.
قال: فأعد، فأعدت، فقال:
ليس هذا كلام الله.
فانتبهت، فقرأت:
والله عزيز حكيم
فقال: أصبت، هذا كلام الله.
فقلت: أتقرأ القرآن؟
قال: لا.
فقلت: من أين علمت؟
فقال: يا هذا، عزّ فحكم، فقطع،

ولو غفر ورحم لما قطع".

ضلاعة الأصمعي في اللغة:

علم الأصمعي واســـع، نتيجة تتبعه مظان اللغة في البادية والحاضرة، وهذه نافذة على بعض علمه:

"قال الرياشي: قلت للأصمعي:

ما كانت المسألة؟

قال: ســـئل عمرو بن العلاء: هل تترو الضبع؟

قال: يقال: ملخ الضِبعان الضبع، إذا نزا. فقال:

أفكل ذكر هكذا يترو؟

قال: لا، يقال:

تراصعت الطير، وتشابكت السباع، وتعاظلت، والحافر يترو، والإبل تضرب، وسفد الديك، وتقافطت الغنم، وتقامطت".

(مجالس العلماء ص: ١٧٦).

عن سياسة عمر:

يقول ابن قتيبة في "عيون الأخبار (ص ٦٦/١): حدثني أبو حاتم قال:

"حدثنا الأصمعي، قال:

حدثنا جد سران، وسران عمّ الأصمعي.

قال: كلم الناس عبدالرحمن بن عوف أن يكلم عمر بن الخطاب في

أن يلين لهم، فإنه قد أخافهم، حتى إنه قد أخاف الأبكار في خدورهن.

فقال عمر: إني لا أجد لهم إلا ذلك، إنهم لو يعلمون ما لهم عندي لأخذوا ثوبي عن عاتقي".

فضل الإسلام:

جاء الخبر التالي في كتاب "المنتقى من أخبار الأصمعي" (ص: ٣٧٤)، والخبر يدل على قوة الإسلام، وقوة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه:

"حدث الأصمعي عن جويرية بن أسماء فقال:

إن عمر بن الخطاب - رضي الله

عنـــه – قدم مكة، فجعـــل يجتاز في سككها، فيقول لأهل المترل:

قمّوا فناءكم.

فقالوا: نعم، يا أمير المؤمنين، يجيء مُهّاننا.

ثم إن عمر اجتاز بعد ذلك، فرأى الفناء كما كان، فقال:

يا أبا ســـفيان، ألم آمرك أن تقموا فناءكم. قال:

بلى، يـــا أمير المؤمنين، ونحن نفعل إذا جاء مُهاننا.

فعلاه بالدرة بـــين أذنيه، فضربه. فسمعت هند، فقالت:

أتضربـــه؟ أما والله لَـــرُبَّ يوم لو

ضربته لاقشعر بك بطن مكة.

فقال عمـــر: "صدقت، ولكن الله - عز وجل - رفع بالإسلام أقواماً ووضع به آخرين".

يا سالم ويا يسار:

"روى الرياشـــي عن الأصمعي، قال:

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، نزل على رجل من الأنصار، فصاح الرجل بغلاميه:

يا سالم ويا يسار.

فقال رسول الله ﷺ:

سلمت لنا الدار في يسر".

(العقد الفريد ٢/ ٣٠١).

كلام الإلغاز:

القصة التالية إحدى القصص الغريبة التي يرويها الأصمعي، وهي عـــن البادية، وعن أحد جوانب حياتهم:

"قال الأصمعي:

تزوج رجل امرأة، فســـاق إليها مهرها ثلاثين شاة، وبعث بها رسولاً، وبعث بزق خمر.

فعمد الرسول فذبح شاة في الطريق فأكلها، وشرب بعض الزق.

فلما أتى المرأة نظرت إلى تســـع وعشرين، ورأت الزق ناقصاً؟ فعلمت

أن الرجـــل لا يبعث إلا بثلاثين وزق مملوء.

فقالت للرسول: قل لصاحبك: إن ســـحيما قد رثم، وإن رسولك جاءنا في المحاق.

فلما أتاه الرسول بالرسالة قال:

يا عدو الله أكلت من الثلاثين شاة، وشربت من رأس الزق.

فاعترف بذلك".

(الحيوان للجاحظ ٣/١٢٤).

جمع اللغة في ثلاث:

ولا يتصور أن الأصمعي يذهب إلى البادية، أو يدعي أنه ذهب، أو من تخيله ذهب إلا ويأتي

بنادرة، خاصة إذا اقتربت من "مغناطيسة" اللغة العربية، وهذه القصة بعض حصيلة هذه الرحلة.

"قال الأصمعي:

بينما أنا في بعض البوادي إذ أنا بصبي، أو صبية، معه قربة قد غلبته، فيها ماء، وهو ينادي:

يا أبتي أدرك فاها، غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها.

قال: فوالله قد جمع العربية في ثلاث[1]".

(أخبار الظراف ١٨١).

بقي أن نتذكر أن هذه القصة زاملتنا منذ

---

(١) راجع القصة فيما سيأتي (ص ١٧٠) كما رواها صاحب كتاب الأذكياء.

أن وصلنا في النحو إلى الأسماء الخمسة، وهذا شاهد غال يتحزم به النحويون.

النسك الأعجمي:

"هذا خبر قصير يرويه الأصمعي.

قال:

قيل لسعيد بن المسيب: ما هنا نسّاك يعيبون إنشاد الشعر. قال: نسكوا نسكا أعجمياً".

(البيان والتبيين ١/٢٠٢).

سقط على الخبير:

الأصمعي علم من أعلام الأدب في العصر العباسي، واسع الثقافة، بعيد الغور في الأدب، ضليع في اللغة، خبير بأمور مجتمعه. ومن هذا

المجتمع جاءه الخلل في ردٍ له على سؤال سأله إياه الخليفة هارون الرشيد، ونسي أن يحسب لمخاطبة الخليفة، التعبير الشـــريف المناسب، وبدلاً من ذلك اســـتعمل تعبـــيراً دارجاً في مجتمعه، فأوقعه هذا في حفرة عميقة:

"قال الرشيد يوماً للأصمعي:

أخبرني عن فلان -لإنســـان من العرب-.

فقال له: على الخبير ســـقطت يا أمير المؤمنين.

فقال له الفضل بن الربيع:

"أسقط الله أنفك وعينك! أهكذا يخاطب الخلفاء؟!".

(آداب الملوك ٢٣١).

إنهـــا زلة من زلات الأصمعي، وهو من لا يخفي عادة زلاته.

إكرام النفس:

ويضع الأصمعي نفســـه في مواقع حرجة أحياناً، فيقـــع في المحظور، ويخزن من ذلك تجربة، وهـــو لا يبخل على القارئ ببعض ما وقع فيه من حفرة حفرها لنفسه، وهذا دليل الثقة بالنفس، وعدم وجود عقدة نفسية، وفي هذا إيمان بأن ابن آدم خطاء، إلا من حماه الله. والنقص في الخير خير من عدم وجود الخير:

"قال الأصمعي:

مررت بكنـــاس في بعض الطرق

وهو ينشد:

وأكرم نفسي، إنني إذا أهنتها،
وحقك، لم تكرُم على أحد بعدي

فقلت:

عن أي شيء أكرمتها، وهذه الجرة على رقبتك؟

فقال: عن الوقوف على باب مثلك".

(البصائر ٦/٢٤٣)، وقد يكون الشعر جاهلياً، لأن الشاعر قال: "وحقك".

ولابد أن الأصمعي ندم على سؤاله، وود أن الأرض ابتلعته دون أن يرى نفسه مغلوباً من كناس، ولعله كذلك أراد من قصها، وهي في غير صالحه - تخفيف وقعها عليه.

كرم وراء حجاب:

قد يكون الكريم معروفاً عند أناس ومجهولاً عند أناس آخرين، فيكشف بفعله كرمه لمن كان يجهله، وهذه القصة خير مثل لذلك:

"قال الأصمعي:

اجتمع النـــاس في جامع البصرة للصلح بين الأحيـــاء، فبُعثت، وأنا غـــلام، إلى عبدالله بـــن عبدالرحمن القعقاعي، فوجدته في شملة يخلط بزراً لعتر.

فأخبرته، فأمهل حتى أكلتْ العتر، ثم غسل الصحفة، وأُتيَ بتمر وزيت، فدعاني، فقذرته، فأكل، وغسل يده بطين ملقى في الـــدار، ثم دعا بالماء،

فشرب ومسح فضلهُ على وجهه، ثم قال:

الحمدلله، ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام، متى نؤدي هذه النعم!

ثم أتى المسجد، فصلى ركعتين، ومشى إلى القوم، فما بقيت حبوة إلا حُلّت، إعظاماً له. ثم جلس، فتحملٍ ما كان بين الأحياء؛ فلم أرَ رجلاً أحقر أولاً وأجمل آخراً منه".

(ربيع الأبرار: ٦٨٦/٣) وقارن هذا بما جاء في صفحة: ٣٣٩/٤، حيث أورد اسم الرجل طلحة بن عبيدالله، وكان يهنأ بعيره (أي يطليها من الجرب. وانظر المحاسن والمساوئ: ٢٩٠، وأورد اسم الرجل ضرار

ابن القعقاع).

في هذه القصة تتضح رجولة كاملة، وإيمان صادق، فعبدالله هـذا لم يأنف من أن يعتني بعـتره، وأن يقدمها على أمـور مهمة؛ فقد صمم أن يوفيهـا حقها قبل أن ينظر في حق الآخرين؛ وهو رجل موسر باستطاعته أن يكل هذا الأمر الطفيف، الدينء في نظر غيره، إلى أحد خدمه.

ثم طعـم من الإناء الـذي أطعم فيه العتر ممـا رأى معه الأصمعي أن فيـه قذارة، فلم يشاركه في غذائه.

ثم يأتي نور الدين الساطع، مشعّ الجوانب عندما تناول عبدالله غداءه الساذج، فيحمد الله على هذه النعمة، التي جمعت له خير ما في

العراق والشام. ويقر لله – سبحانه وتعالى – إنه لم يعرف قدرها، ويؤتيها حقها من الشكر.

ولا ينســـى وقد دخل المسجد قوة إيمانه بالله، فيصلي ركعتين، ويترك القوم ماسكي أنفاسهم ليعرفوا ما عنده لهم.

رحمك الله يا عبـــدالله فهذا الخبر عنك مما يشد الأنفاس.

عجيزة بعجيزة:

يروي الأصمعي عن آخر شـــيئاً عن حلم معاوية، وهو خبر طريف، ولهذا جذب نظر الأصمعي:

"روى الرياشي عن الأصمعي قال:

خاطر (راهن) رجل رجلاً أن يقوم

إلى معاوية إذا سجد، فيضع يده على كفله، ويقول:

سبحان الله يا أمير المؤمنين، ما أشبه عجيزتك بعجيزة أمك هند.

ففعل ذلك.

فلما انفتل معاوية عن صلاته قال:

لا، يا ابن أخي، إن أبا سفيان كان إلى ذلـــك منها أميل. فخذ ما جعلوا لك. فأخذه"[1].

(العقد الفريد ١/٥٣).

---

(١) وللخبر بقية وردت في مصادر أخرى:

ذهب المُراهن إلى زياد بن أبيه، وقال له في المسجد بصوت عال: من هو أبوك، فقطع رأســـه، وبلغ ذلك معاوية فقال: أنا الذي قطعت رأسه، وعند أهل نجد يقول: "خير ما له يطيح بطبّال الأذناب".

سؤال وجواب:

الأصمعي، كما قلنا، وكما رأينا من القصص التي يرويها، مفتون بالصحراء، وأهل الصحراء، ولا يروي عنهم إلا ما يرى أنه طريف، أو غريب، أو نادر، أو مدهش. وقد أعجبه فكر أحد الغلمان في البادية عندما سأله سؤالاً أعده الأصمعي، ليكشف صفاء ذهن هذا الأعرابي، ونجح الأعرابي الشاب في الإجابة على امتحان الأصمعي:

"قال الأصمعي:

قلت لغلام حدث من أولاد العرب:

أيسُّرك أن يكون لك مئة ألف درهم وأنك أحمق؟

قال: لا، والله.

قلت: لِمَ.

قال: أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تُذهب مالي، وتبقي عليّ حُمقى".

(أخبار الظراف: ١٨٢).

العلماء والاسناد:

الإسناد أمر مهم، أن تروي عن أحد لابد أن تذكـــر من رويت عنـــه، ومن روى هو عنه، كذا حتى تنتهي سلسلة الإسناد، وهذا يضفي ثقة على الرواية، وليس الأمر سهلاً، وهذه إحدى صـــور صعوبته[1]؛ وهي رواية الأصمعي:

---

(١) قال الشاعر: ونُصّ الحديث إلى أهله فإن الأمانة في نصه

"حدث أبو العيناء، عن الأصمعي قال: أنشد عوانة بيتين، فقيل له: لمن هما؟

قال: أنا تركت الحديث بغضاً مني للإسناد، وليس أراكم تعفوني منه في الشعر".

(معجم الأدباء ١٦/١٣٧).

الوضع في الشعر والأدب:

هـــذا أمر يخيف العلمـــاء والأدباء، ذوي الأصول الرصينة، ممن يغارون على الحقيقة، وقد جاء نص يكشف بعضهم، ويري طريقتهم في الوضع، قال الجاحظ في كتاب البغال:

"ومـــا هو إلا أن ولّـــد أبو مخيف

حديثاً، أو الشـــرقي بن القطامي، أو الكلـــبي، أو ابن الكلـــبي، أو لقيط المحاربي، أو شوكر، أو عطاء الملط، أو ابن دأب، أو أبو الحسن المدائني، ثم صوّره في كتاب، وألقاه في الوراقين، إلا رواه من لا يُحصِّل ولا يتثبت ولا يتوقف".

(كتاب البغال للجاحظ: ٢٧).

وكان الجاحظ عندما تطـــرق إلى هؤلاء المزورين يفند كذبة قيلت عن عائشة – رضي الله عنها، وأنها ركبت بغلة لتصلح بين حيين. وأثبت أن هذه قصة مختلقة.

وما حداني إلى ذكـــر هذا إلا ما جاء عن

الأصمعي، وما قاله عن أحد مزوري الحقائق وهو ابن دأب. ولعل الأصمعي يرى أن من واجبه، وما يبرئ ذمته، التحذير منه:

"قال الأصمعي:

كان ابـــن دأب يضع الشـــعر، وأحاديث الســـمر، وكلاماً ينسبه إلى العرب، فســـقط، وذهب علمه، وخفيت روايته".

(معجم الأدباء ١٦/١٦٤).

وصف لحيوان الركوب:

الخيـــل والبغال والإبـــل والحمير كانت متوافرة في مجتمع ذلـــك الزمن، كل واحد من هذه له غرض، وعرف أن الضيف الوافد

مضيفه يعمد إلى إكـــرام مركوبه قبل إكرام الضيـــف، لأن المركوب مجهد، وجائع، فإذا أكرمه المضيف سبق إلى قلب الضيف.

والجاحظ في كتابه عن البغال لم يترك شيئاً لم يذكره، ومن جملة من روى عنه الأصمعي، فله قول حكمة عن السابق في حلبات السباق، وهو الأكبر جوفاً، ولهذا قال:

"قال الأصمعي:

"لم يسبق الحلبة قطُّ أهضم".

أي ضامر البطن.

(كتاب البغال للجاحظ: ٢٣).

أهمية البغال:

وأهمية البغال في ذلك الزمن حدت بالجاحظ

إلى تأليـــف كتابه هذا عنهـــا، وهو يتلمس المواقـــف المقنعة في أهمية البغال، وتقديمها في بعض الأحيان، في بعض الأمور، على الخيل، مع مقدرة راكبها على استبدالها بالخيل. فهو يذكر أن زيـــاداً وهو وال على جميع العراق ركبها، فيقول:

"قال الأصمعي: عن جرير بن حازم عن الزبير بن الخريت، عن ابن لبيد، واسمه لِمازة بن زبّار قال:

مر بنا زياد في سكتنا هذه، وهو على بغلة قد لوى رسنها على عنقها تحت اللجام، ومعه رجل أو رجلان".

(كتاب البغال للجاحظ: ٢٩).

يا ذا الجلال والإكرام:

في هـــذه القصة يقـــف الأصمعي واعظاً مخلصاً، وينصَح ويُنصِح" في نصحه:

"سمع الأصمعي رجلاً عند الملتزم يقول:

"يا ذي الجلال والإكرام".

قال: من كم تدعو؟

قال: من ســـبع سنين دأبا، فلم أر الإجابة.

فقال: إنك تلحن في الدعاء، فأنّى يستجاب لك. قال: قل:

يا ذا الجلال والإكرام.

ففعل، فأجيب".

(ربيع الأبرار: ٦٢٣/١).

إن الغـــيرة علـــى اللغة هـــي التي دفعت الأصمعـــي، أن يصحح خطأ الرجل، واللغة العربية في دم الأصمعي.

لسان سؤول:

لم يكـــن هناك كليـــات ولا جامعات ولا معاهـــد، والعلم يؤخذ في حلقات العلماء في المساجد، ولكن هذه ليست المنبع الذي يؤخذ منه العلم والتحصيل فقط، هناك مســـالك أخرى، يعددها الأصمعي في إحدى رواياته:

"حدث الرياشي قال:

حدثنا الاصمعي قال:

"قيل لدغفل النسَّابة:

بِمَ أدركت ما أدركت من العلم؟

فقال: بلســـان سَـــؤول، وقلب عقول، وكنت إذا لقيت عالماً أخذت منه وأعطيته".

(ربيع الأبرار. ص: ٢/١٣٤).

وصف البرد:

أهل الصحراء خير من يعرفها، وخير من يصف أمـــور الطبيعة فيها، ولأهميتها عندهم يختارون في التعبير عنها أفصح الجمل، وأجمل الكلمات، يستقونها من هذه البيئة التي تحيط بهم، وهنا وصف من هذه الأوصاف:

"قال الأصمعي:

قدم رسول على الحجاج، فلما قرأ كتابه قال:

ما أبطأك؟

قال البرد.

قال: ما بلغ من شدته؟

قال: صحـــو الليل، وغيم النهار، وقطر مطر، تتبعه الشمال".

(مجالس ثعلب، ص: ١/٢٨٦).

أقوال من ذهب:

الأصمعي عالم، ويســـتفيد من علمه أداة لدراســـة ما حوله من أمور، يـــرى، فيتدبر ويتبصر، ويقارن، ويجمـــع ثم يصدر حكمه الـــذي يأتي صائباً بعد ذلـــك، وهنا عصارة تجارب لا يســـع المطلع عليهـــا إلا أن يقول للأصمعي: صدقت:

"قال الأصمعي:
ستٌّ يضنين، بل يقتلن:
انتظار المائدة، ودمدمة الخادم (التذمر بصوت واطئ)، والسراج المظلم، والوكف من أول الليل إلى آخره[1]، وخلاف من تحبه، والنظر إلى بخيل".
(البخلاء، للبغدادي، ٧٦).

تعبير حلم:

والجاحظ يتحدث عن البغال حاول أن لا يفوته من أمرها شيء، ومن الجوانب التي طرقها رؤية البغلة في الحلم، وهذا ما رواه

---

(١) الوكف هو نقط المطر المستمر، غالباً من السقف إلى ما تحته.

الأصمعي:

"قال الأصمعي:

أرســـل الحجاج إلى الجرمي المعبر يسأله عن رجل رأى كأنه علي بغلة، وكأنه على شرف، وكأنه يستفّ تراباً فقال له:

أما البغل فطول عمر، وأما الشرف فشرف من شرف الدنيا، وأما التراب ففيء تأكله".

(كتاب البغال للجاحظ: ص ٦١).

الصلاة على الميت:

الأصمعي لا تعجبه أن تطول المدة التي يبتعد فيها عن الفكاهة، وكأن الفكاهة مصدر قوة

فكرية تجدد نشاط فكره، أسمعه يروي عمن يفتري ويعلق:

"قال الأصمعي عن بعض الرواة:

قلت للشرقي بن القطامي:

ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاها؟

فقال: لا أدري.

فكذبت له، فقلت:

كانوا يقولون:

ما كنت وكواكا ولا بزونك

رويدك حتى يبعث الحق باعثه

فإذا به يحدث به في المقصورة يوم الجمعة فإن كان لم يكشف الكذبة فهو جاهل، وإن كان اكتشـــفها، ودلّس

على الناس فهو أكثر جهلاً".
(ربيع الأبرار: ص ١/٦٤٦).

الطفاوة وبنو راسب:

هذه قضية مـــن قضايا الأصمعي الفكهة، وقد يكون الحكم هازلاً عندما اقترح الحكم، الذي جعل الأصمعي يسجل هذه الطريفة:

"عن الأصمعي:

اختصمت الطفاوة وبنو راسب، في رجل يدعيه الفريقان إلى ابن عرباض، فقال:

الحكم بينكم أبين من ذلك، يلقى في النهر فـــإن طفا فهو لطفاوة، وإن رسب فهو لبني راسب".

(عيون الأخبار: ص ٧١).

الأصمعي والطيرة:

الأصمعي له رأي في الطيرة، التي أنكرها الإســـلام عندما قال: لا عدوى ولا طيرة، والأصمعي لم يعط رأيه صريحاً، ولكنه جاء به على "سبورة" قصة:

"قال الأصمعي:

حدثني ســـعيد بن مسلم بن قتيبة عن أبيه، أنه كان يعجب ممن يصدق بالطيرة، وكان يعيبها أشـــد العيب، وقال:

فَرَقت لنا ناقة، وأبا بالطفّ، فركبت على أثرها، فلقيني هانئ بن عتبة من

بني وائل يركض وهو يقول:

"والشر يلقى مُطالع الأكم".

ثم لقيني رجل آخر من الحي، فقال (وهو للبيد):

ولئـــن بعثـــت لهـــم بغـــا

ة مـــا البغـــاة بواجدينـــا

ثم دفعتُ إلى غلام قد وقع في صغره في نار، فأحرقته، فقبح وجهه وفسد، فقلت له:

هل ذكرت من ناقة نافق؟

قال: ها هنا أهل بيت من الأعراب فانظر.

فوجدناها قد نتجت ومعها ولدها".

(ربيع الأبرار: ص ١/٢٣).

صدق أو لا تصدق:

طرائف الاصمعي، إن أريد منها البهجة، فيجـــب أن تؤخذ على علاتها، وهذه واحدة منها:

"يقول الثعالبي:

قـــال الأصمعي: عـــن معتمر بن سليمان عن أبيه قال:

قلت لهلال بن الأسعر:

ما أكلة بلغتني عنك؟

قال: نعم، جُعتُ جوعة، وأنا على بعيري، فنحرته، وأكلته، إلا ما حملت على ظهري منه".

(مجالـــس ثعلـــب: ٢/٤٦٤، الأغـــاني: ٣/٦٥).

يا أصمعي لقد أبعدت:

في القصة الآتية يحلـــق بنا الأصمعي إلى خيال الخيال، فيصـــور معدة رجل هي أكبر من مخزن تبن، فلنســـر معه في "فشره"، ففيه طرافة:

"قال الأصمعي:

دعا عباد بن أخضر هلال بن أسعر إلى وليمة، فأكل مع الناس حتى فرغوا؛ ثم أكل ثلاث جفان تصنع كل جفنة لعشرة أنفس، فقال له:

شبعت؟

قال: لا.

فأتـــوه بكل خبـــز في البيت، فلم يشـــبع، فبعثوا إلى الجـــيران، فلما

اختلفت ألوان الخبز علم أنه قد أضرّ بهم فأمسك.

فقالـــوا: هل لك في تمر شـــهيريز بلبن؟

فأتوه به فأكل منه قواصر (القوصرة وعاء من قصب).

فقالوا أشبعت؟

قال: لا.

فقالوا: فهل لك في السويق؟

قال نعم.

فأتوه بجراب ضخم مملوء.

فقال: هل عندكم نبيذ؟

قالوا: نعم.

قال: أعندكم ثور[1] تغتسلون به من الجنابة؟

فأتي به، فغسله وصب السويق وصب عليه النبيذ، فمازال يفعل ذلك حتى فني".

(عيون الأخبار ٢٤٩/٣، الأغاني ٦٥/٣).

هل الأصمعي قال هذا؟

أسوق هذا الخبر لغرابته، ولأتسبب للقارئ أن يرفع حاجبه استغراباً:

"قال الأصمعي:

لما أخذ أبو بَيْهس الخارجي قطعت

---

(١) الثور: إناء كبير من نحاس أو حجر.

يـــداه ورجلاه، ثم تـــرك يتمرغ في التراب، فلما أصبح قال:

هل أحـــد يفرغ عليّ دلوين؟ فإني احتلمت في هذه الليلة".

(البصائر ٣٠/٧٣).

رغم أني وعدت أن لا أزعج القارئ بأن لا التفت إلى النحل، وسآتي بالقصة صحيحة أو مختلقة، إلا أن هذا الخبر "لا يبتلع" فسامحوني إن أخلفت وعدي.

نادرة:

من نوادر الأصمعـــي القصة الآتية، ومن المؤكد أن الأصمعي عدها نادرة، وإلا لما أتى

بها تحت روايته:

"روى الأصمعي أنـــه رأى رجلاً يختال في أُزيّر (تصغير إزار) يوم قرٍّ، فقال له:

ممن أنت يا مغرور؟

فقال: أنا ابن الوحيد، أمشي الخيزكى (مشية المتثاقل) ويدفيني حسبي!".

(الكامل للمبرد: ص ٢/١٠٣٤).

ويبـــدو أن الفكرة ليســـت جديدة عند أصحاب ذاك الزمـــن فالمبرد يروي في ص: (٢/١٠٣٤) أنه قيل لرجل:

"أما يوجعك البرد؟

فقال بلى: ولكني أذكر حســـبي وأدفأ".

قوة حجة:

يسعف علم الأصمعي في إخراجه من المواقف التي تحتاج إلى العلم، وسرعة البديهة، فضلاً عنه في الدين، أنجدته في ضمان حقه:

"استقرض جار الأصمعي منه دريهمات، فقال له:

أين الرهن؟

قال: ألست واثقاً مني؟

قال: بلى، وهذا خليل الله - صلوات الله وسلامه عليه - كان واثقاً بربه، حيث قال:

"ولكن ليطمئن قلبي".

(سورة البقرة، آية ٢٦٠).

(لطائف اللطف ٧٦).

رمية من غير رام:

الأصمعي لا يتردد في أن يذكر بعض هفواته، سيراً على نهج الصراحة الذي لازمه، وكان أحد الأمور التي شهرته، وأضفت على سيرته شيئاً من الطرافة، وهذه إحدى حصائل رحلته إلى البادية:

"حكى الأصمعي قال:

نزلت في بعض الأحياء، فنظرت إلى قطع من القديد منظومة في خيط، فأخذت في أكلها، فلما استوفيتها، أقبلت المرأة صاحبة الخباء، وقالت:

أين ما كان في الخيط؟

فقلت: أكلته.

فقالت: ليس هذا مما يؤكل؛ إنني امرأة

أخفض الجواري، وكلما خفضت جارية علقت خفضتها في هذا الخيط".
(الكشكول: ٢/٣٤٨).

عقوق الوالدين:

الأصمعي مصلح اجتماعي، بنى عمله على علم، وعمق معرفة، ومن أهم ما يمكن أن يدعو إليه المصلح هو برّ الوالدين.

وللأصمعي طرقه في الوعظ، فهو يأتي به مغلفاً بقصة، تكون له من الجواذب إلى الانصياع إلى ما تدعو إليه. وهذه قصة جاء معها الشعر الذي يبتهج الأصمعي بأن يكون شمعة مضيئة فيما يرويه، مما يؤكد له أن الفكرة لن تضيع، ما دامت موثقة بهذا الوتد:

"عن الأصمعي قال:

أخبرني بعض العرب أن رجلاً كان في زمن عبدالملك بن مروان، وكان له أب كبير، وكان الشاب عاقاً بأبيه، وكان يقال للشـــاب "مُنازِل"، فقال الشيخ، وهو فرعان التميمي:

جَزَت رَحِم بيني وبين مُنازل
جزاءاً كما يستنجز الدَّينَ طالبُه
تَرَبَّتَ حتى صار جعدا شمردلاً
إذا قام ساوى غارَب الفحل غاربُه
تظلّمني مالي كذا ولوى يدي
لوى يَـــدَه الله الذي لا يغالبُه
وإني لـــداع دعوة لو دعوتُها
على جبل الريّان لانقض جانبه

فبلغ ذلك أميراً كان عليهم، فأرسل إلى الفتى ليأخذه، فقال له:

أخرج من خلف البيت، فسبق رسل الأمير.

ثم ابتلي الفتى بابن عقه في آخر عمره، فقال:

تظلمني مالي خليجٌ وعقّني
على حين كانت كالحِنيّ عظامي
تخيّرته وازددتُه ليزيدني
وما بعض ما يُزداد غير عرام

(عيون الأخبار: ٣/٩٨).

الأصمعي والرشيد:

الخلفاء في الدولة الأموية والعباسية

لم يذهبـــوا إلى مـــدارس ولا كليات، وإنما بعضهم أخذ علمه من علماء في الجوامع، أو اختـــيروا لهم من آبائهم، ثم زادوا على هذا ثقافة اكتســـبوها من محادثة الرجال. وهذا هو الرشـــيد يطلب من الأصمعي قصة هو يعرفها، ولكنه أراد أن يسمعها وصحبه من الأصمعي وهي عن أكلة الفالوذج، المشهورة في ذلك الزمن:

"قال الأصمعي:

كنا عنـــد الرشـــيد فقدمت إليه فالوذجة، فقال: يـــا أصمعي حدثنا حديث "مزرد".

فقلت: إن مزرداً، أخا الشـــماخ، كان غلاماً جشعاً، وكانت أمه تؤثر

عيالهـــا بالطعام عليـــه، وكان ذلك يحفظه؛ فخرجت أمه ذات يوم تزور بعض أهلها، فدخـــل مزرد الخيمة، وعمـــد إلى صاعي دقيق، وصاع من تمر، وصاع من سمن، فجمعه، ثم جعل يأكله، وهو يقول:

ولمـــا غدت أمي تمـــير بناتِها
أغرت على اليكم الذي كان يمنع
لبكت بصاعي حنطة صاع عجوة
إلى صـــاع سمن فوقـــه يتربع
ودّبلتُ[1] أمثال الأثافي كأنها
رؤس نقاد[2] قطعت يوم تجمّع

---

(١) دبلت أي راكمت بعضه فوق بعض.

(٢) النقاد: صغار الغنم.

وقلت لبطني أبشر اليوم إنه
حِمـــى أمنا مما تحـــوز وترفع
فإن كنتَ مصفوراً فهذا دواؤه
وإن كنتَ غرثاناً فهذا يوم تشبع
فضحك الرشيد، حتى استلقى على ظهره، ثم قال: كلوا باسم الله: هذا يوم تشبع، يا أصمعي".
(عيون الأخبار: ٣/٢٢٧).

كيف مات:

إن الحديث عن الطعام يحلو عند المجالسة، وكان حضور الموائد يوحـــي بالحديث عن الأكل، وعن الغرائب التي تأتي حوله، وقبلٍ قليل مر بنا الرجل الذي أكل بعيره إلا قليلاً

حمله معه.

والجوع يفعل كثيراً مما يستغرب، وأذكر وأنا صغير أن الريع المنحوت، الذي بعد "السيل" إلى الطائف، كان مطلعاً صعباً، فجند ابن سليمان "خوياه" لتسهيله من أجل صعود السيارات ونزولها، وكان هذا في أوسط أو أواخر الخمسينات الهجرية.

ويبدو أن أمر "التموين" كان صعباً، والأموال شحيحة، فكان تموينهم بالطعام "قصيفاً"، ولا يأتي منتظماً، فاتفقوا على أن يشتروا خروفاً يأكله واحد منهم، وهذا معروف بأنه لا يشبعه شيء، وأملوا أنهم إذا نشروا قصته، وما أكل سوف تلفت نظر ابن سليمان، ليحقق في الأمر، ويُحسّن الوضع.

وقد نجحت الفكرة فصارت حديث الناس في مكة المكرمة.

وقد يكـــون الخروف صغيراً، فإذا أبعدت عنه العظام فالباقي يمكـــن أن يتصور أنه لا يعجـــز النَّهِم. ولكن مثل كل القصص، التي مثل كرة الثلج طوال مدة ســـريانها تكسب حقائق لا تمت إلى الحقيقة بصلة، فقد أدخل علـــى القصة أنه أكله بجلده، وأنه كان يضع الجلد داخـــل قطع اللحم. وكنا ونحن صغار نبتهج بهذه الإضافة. وأعرف في تلك الأيام ذلك الرجل. والله أعلم إن كان أكل ما أكل، أو داهم القصة شـــيء من الخيال. والقصة التالية في محيط الأكل:

"قـــال الأصمعـــي: قـــال بعض

الأعراب:

اللهم إني أســـألك ميتة كميتة أبي خارجة، أكل بذجا (حملا)، وشرب معســـلاً، ونام في الشمس، فلقي الله شبعانَ ريان دفآن".

(عيون الأخبار: ٢٩٨/٣).

يُفَرِّق طعماً عن طعم:

في عصرنـــا الحديث، في بعـــض مناطقنا العربية، العميقـــة في أمور الأطعمة والغذاء، يَفْرقون من صنف وصنف بأن يتناولوا كامخاً "مخَللا" خاصـــة الزيتون في البلدان التي فيها شـــجر الزيتون، وقد يبين أن هذا التصرف قديم. وها هو الأصمعي يتحدث عن ذلك:

"قال الأصمعي:

حدثني إبراهيم بن صالح أنه كان له جام من حَبّ رمّان مدقوق، يُسفَّ منه، بين كل لونين، ملعقة، حتى يعرف اختلاف الألوان".

(عيون الأخبار: ٢٣٨/٣).

مسقط حكمة:

الحكم ليست بعيدة عن الأصمعي، فهو إما أن يقولها نتيجة تفكير منه، أو يرويها اختياراً لها، وهذه إحداها:

"قال الأصمعي:

أبرع بيت قالتـــه العرب بيت أبي ذؤيب الهذلي:

والنّفسُ راغبـــة إذا رغّبتها
وإذا تُـــردّ إلى قليـــل تقنع"
(عيون الأخبار: ٣/٢٠٧).

صـــدق الأصمعي وصدق أبـــو ذؤيب، ونضيف قولاً مضيئاً آخر في هذا الأمر:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمْه ينفطِم

الأصمعي والفتنة:

العاقل اللبيب، العالم الأريب، لا يخفى عليه النور إذا سطع، وجاء معضداً عقيدة يعتنقها، فالأصمعي ممن يؤمنـــون إيماناً عميقاً بفائدة الشورى، ولهذا أعجب بأبيات في الشورى قالها بشار:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولاتجعل الشورى عليك غضاضة
فـــإن الخوافي قـــوة للقوادم

وقد حاور الأصمعي بشاراً، قائل الأبيات، وقال له:

"رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة، فقال:

أو ما علمت أن المشـــورة إحدى الحسنيين:

صـــواب يفوز بثمرتـــه، أو خطأ يشارك في مكروهه.

فقلت له: أنت والله في هذا الكلام أشعر منك في شعرك".

(اللطائف والظرائف: ١١٨).

الأصمعي يكشف نحل الأقوال:

الأصمعي، وهو العالم، وفي صفة العالم الصدق، وإنكار خلافه، ولهذا أشار الأصمعي بأصبعه إشارة صريحة إلى أحد الناحلين، بقوله:

"كان ابن دأب يضع الشعر، وأحاديث السمر، وكلاماً ينسبه للعرب، فسقط، وذهب علمه، وحديث روايته.

قال الأصمعي: وكان شاعراً، وعلمه بالأخبار أكثر".

(معجم الأدباء: ١٦/١٦٤).

والأصمعي لا يقف عند هذا الحد، ولكنه يتبعه بأكثر من هـــذا، فيقول، مدلياً بحجج قوية:

"أتعجب لابن دأب حين يزعم أن أعشى همدان يقول:

مـــن رأى لي غزيّلـــي
أربـــح الله تجارتُـــــه
وخضـــــاب بكفّـــه
أســـود اللون قارتـــه

ثم قال الاصمعي:

يا سبحان الله، يحذف الألف التي قبل الهاء في الله، ويسكن الهاء، ويرفع "تجارتُه" وهـــو منصوب، ويجُوَّز هذا عنه، ويروي الناس عن مثله".

(معجم الأدباء: ٨/١٨).

أعرابي يستجدى:

ولعُ الأصمعي بالأعراب رجالاً ونساءاً معروف عنه، وهذه من قصصه عنهم:

"قال الأصمعي:

وقف أعرابي يسأل فقال:

ألا فتى أروعُ ذا جمال
من عرب الناس أو الموالي
يعينني اليوم على عيالي
قد كثّروا همي وقلّ مالي
وساقهم جدب وسوء حال
قد مللت كثرة السّؤال"

(البيان والتبيين: ٤/٧٦).

أعرابية تستجدي:

ونعود مع الأصمعي إلى الأعراب، وهذا ما قاله عن فقرهم واستجدائهم:

"قال الأصمعي:

رأيت أعرابيـــة، ذات جمال رائع، تسأل "بِمنى".

فقلتَ، يا أمة الله، تســـألين، ولك هذا الجمال؟

قالت: قدر الله، فما أصنع؟

قلت: فمن أين معاشكم؟

قالت: هذا الحـــاج نتقممهم (من القمامة)، ونغسل ثيابهم.

قلت: فإذا ذهب الحاج فمن أين؟

فنظرت إليّ، وقالت:

يا صلب الجبين! لو كنا إنما نعيش
من حيث نعلم لما عشنا".
(عيون الأخبار: ١/٣٥٢).

عن الزوجات:

صفات النساء مهمة لمن يهم بالزواج، فإنه يتحرى، ويستشـــير، ليطمئن على مستقبل زواجه، وهذه قصة أعجبت الأصمعي، وقد تعجب بعضنا:

"قال الأصمعي:
حدثنا سوار، قال:
طُلب رجل فجُنّ وتحامق، وركب قصبته، واتّبعه الصبيان.
وخطب رجل حتى أعيي، فنذر أن

يشاور أول من يلقاه، فلقي القشعم، فقال:

إني نذرت أن أتزوج.

قال: بكر لـــك ولا عليك، ثيّب لك وعليـــك، ذات الجلاوز عليك ولا لك".

(أخبار القضاة: ٢/٦٦).

نصيحة أم:

يختار لنا الأصمعي مـــا يحلو من الأخبار، ومخزونه كثير، ولكـــن هذا منتقى. وهو هنا يروي لنا نصيحة أم:

"قـــال الأصمعي، عـــن إبان بن تغلب:

مـــررت بامرأة بأعلـــى الأرض، وبين يديها ابن لها، يريد سفراً، وهي توصيه، فقالت:

اجلـــس امنحك وصيـــتي، وبالله توفيقك، وقليلُ إجدائِها عليك أنفع من كثير عقلك.

إياك والنّمائم، فإنها تزرع الضغائن، ولا تجعل نفسك غرضاً للرماة، فإن الهدف إذا رُمـــي لم يلبث أن يتثلّم، ومثّل لنفسك مثالاً، فما استحسنته من غيرك فاعمل به، وما كرهته منه فدعه، واجتنبـــه، ومن كانت مودته لِشَرَه كان كالريح في تصرفها.

ثم نظرت، فقالت:

كأنَك يا عراقـــي أعجبت بكلام أهل البدو؟

ثم قالت لابنها:

إذا هززتَ فهزّ كريماً فإن الكريم يهتـــزّ لهزّتك، وإيـــاك واللئيم، فإنه صخـــرة لا ينفجر ماؤهـــا، وإياك والغـــدر، فإنه اقبح مـــا تعومل به، وعليك بالوفـــاء، ففيه النماء، وكن بمالك جواداً، وبدينك شحيحاً، ومن أعطي الســـخاء والحلم فقد استجاد الحُلّة، ريطتها وسربالها.

انهض على اسم الله".

(البيان والتبيين: ٤/٧٢).

يأمر وينهى:

والقصة التالية من مختارات الأصمعي، التي تبين بعض التورية ممن يفضل ألا يصرح:

"حدث الأصمعي:

مرض زياد، فدخل عليه شـــريح، فلمـــا خرج بعث إليه مســـروق بن الأجدع يسأله:

كيف تركت الأمير؟

قال تركته يأمر وينهى.

فقال مسروق: إن شريحاً صاحب تعريض، فسلوه.

فسألوه، فقال:

تركته يأمـــر بالوصية، وينهى عن البكاء".

(عيون الأخبار: ٢/٢١٧).

السّخينة:

لمزة مخفاة هي التي جعلت الأصمعي يختار القصة التالية:

"حدث أبو حـــاتم عن الأصمعي قال:

قال معاوية للأحنف:

يـــا أحنف ما الشـــيء الملفف في البجاد؟

قال: هو السخينة.

أراد معاوية قول الشاعر:

إذا مـــات ميـــت مـــن تميم

فســـرّك أن يعيش فجئ بزاد

بخبـــز أو بتمـــر أو بســـمن
أو الشيء الملفّف في البجاد
وأراد الأحنـــف أن قريشـــاً تعير
بالسخينة".
(عيون الأخبار: ٢/٢٢١).

السويق مع الحزن

من مرويـــات الأصمعـــي في أمور لفتت نظره لأمر غريب فيها، فالسويق أكلة مميزة، واستغرب أكلها بعد وفاة مباشرة، وهذه هي القصة:

"قال الأصمعي:
مررت بأعرابية وبين يديها فتى في السياق (يحتضر). ثم رجعت، ورأيت

في يديها قدح ســـويق تشربه فقلت لها:

ما فعل الشاب؟

قالت: وارياه.

فقلت: فما هذا السويق؟

فقالت:

على كل حال يأكل القوم زادهم

على البؤس والبلوى وفي الحدثان"

(عيون الأخبار: ٣/٦٦).

أبو جعفر وسوار:

من مختارات الأصمعي لنا القصة التالية:

"قال الاصمعي:

كتب المنصور إلى سوار القاضي في

شـــيء عنده، بخلاف الحق، فلم ينفذ سـوار كتابه، وأمضى الحكم عليه، فاغتاظ أبو جعفر عليه، وتوعده.

فقيل لـــه: يا أمـــير المؤمنين: إنما عَدْل ســـوار مُضاف إليـــك، وزينٌ لخلافتك".

(البصائر: ٥/١٤٧).

المال والبنون:

ومما سمعه الأصمعي ما يلي:

"قال الأصمعي:

سمعت أعرابياً يدعو، وهو يقول:

اللهـــم ارزقني مـــالاً، أكبت به الأعـــداء، وبنين أصـــول بهم على

الأقرباء. إذ كان القرآن يقول:

"المال والبنون زينة الحياة الدنيا".

(سورة الكهف، الآية: ٤٦).

(البيان والتبيين: ٤/٧٧).

طرد الحيرة:

الأحنف وقـــع في مأزق، فالصلاة أزفت، ومعه أمانة لا يستطيع أن يتركها، فماذا فعل، الأصمعي يخبرنا:

"قال الأصمعي:

جلس الأحنف علـــى باب دار، فمرت به ســـاقية؛ فوضعت قربتها، وقالت:

يا شيخ، احفظ قربتي حتى أعود.

ومضت، فأتاه الآذن، وقال:
أنهض.
فقال: إن معي وديعة.
وأقام حتى جاءت".
(عيون الأخبار: ١/٣٧٦).

إهمال الرد على السّفيه:

إذا نطــق الســفيه فلا تجبه
فخير من إجابته الســكوت

والأصمعي يعطينا مثلاً حياً لهذا القول:

"قال الأصمعيٍ:
بلغني أن رجلا قال لآخر:
والله لئن قلت واحدة لتســمعنّ عشراً.

فقال الآخر:

لكنك إن قلت عشـــراً لم تسمع واحدة".

(عيون الأخبار: ١/٣٩٩).

تجاهل الشتم:

لا نزال مع الأصمعي في مقابلة السَّفَه:

"قال الأصمعي:

بلغني أن رجلاً شتم عمر بن ذر، فقال له:

ياهذا لا تغرق في شـــتمنا، ودع للصلح موضعاً؛ فإني أَمَتُّ مشـــاتمة الرجال صغـــيراً، ولن أحييَها كبيراً، وإني لا أكافئ من عصى الله فيّ بأكثر

من أن أطيع الله فيه".
(عيون الأخبار: ١/٣٩٩).

جمال العبارات:

جمال العبارات يأتي عندما يكون المتحادثان في مستوى عال من العقل وإحقاق الحق، ولعل هذا ما أقنع الأصمعي في أن يتحفنا بالقصة التالية:

"قال الأصمعي:

أخبرني بعض أصحابنا قال:

جاء سيار أبو الحكم إلى مالك بن دينار في ثياب اشتهرها مالك، فقال له مالك:

ما هذه الشهرة؟

فقال له ســـيار: أتضعني عندك أم ترفعني؟

قال: بل تضعك.

قال: أراك تنهاني عن التواضع فتزل مالك، فقعد بين يديه".

(عيون الأخبار: ١/٤١٥ / ربيع الأبرار: ٤/١٣).

عن اللباس:

أحد الأمور التي تشغل الناس اللباس، وقد ورد عنه أخبار كثـــيرة، ومتنوعة في الأدب العربي، تلمسه هذه الأخبار من قريب أو بعيد. فلنكن مع الأصمعي وأحد مصادره المفضلة:

"قال الأصمعي:

لقيت أعرابياً، فاستنشدته، فأنشدني أبياتاً، وروى لي أخباراً، فتعجبت من جماله وسوء حاله، فَسَكَتَ سكتة، ثم قال:

أأخـــي إن الحادثـــات
عَرَكْنَـــني عـــرك الأديم
لا تنكـــرن أن قـــد رأيّـــــ
ـتَ أخـــاك في طمرى عديم
إن كـــن ثيـــابي يُلَبْســـــ
ـنَ فإنهـــن علـــى كـــريم"

(ربيع الأبرار: ٤/١١).

دَرَسَ وأهملنا:

هنا إطلالة على مرحلة دراســـة الأصمعي

للعلـــم، يصفها لنا بوضـــوح تام، واختصار مفيد:

"قيل للأصمعي:

كيف حفظت ونسي أصحابك؟

قال: درستُ وتركوا".

(مجالس ثعلب: ١/١٤١، ٢٥٨).

المشيب والشعر:

تكاد تطفح كتب الأدب بالشـــعر الذي قيل في الشيب وقد تعددت الصور في ذلك، ومنها زهد النساء في الشايب ويأبي الأصمعي إلا أن يكون له دلو بين تلك الدلاء، فيروي التالي:

"روى الاصمعـــي عـــن أحـــد

الأعراب:

ألا قالت الخنساء يوم لقيتُها
كبرتَ ولم تجزع من الشيب مجزعا
رأت ذا عصا يمشي عليها وشيبة
تقنّع منها رأسه ما تقنّعا
فقلت لها: لا تهزئي بي فقلّما
يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
وللقارح اليعبوب خير علالة
من الجذَع المُجرَى وأبعد مترعا"

(البيان والتبيين: ٣/١٢٣).

السكوت:

تحدثت كتب الأدب ممتدحة عدم الإطالة في الكلام، وأسهبت في ميزاته، وذمت كثيراً

الإطالة، وها نحن نرى الأصمعي يساهم برواية تصيب "المفرص":

"عن الأصمعي: قال أعرابي:

السكوت صيانة للسان وستر للعيّ".

(بهجة المجالس: ١/٧٨).

أسير الكلمة:

وأمر الفصاحة، ووزن الكلمات، والاختصار فيما يقال، والاكتفاء بما يفيد ويشفي، مما يقف عنده الأصمعي، وقد أعجبه قول أعرابي، فرأى ألا يبخل علينا بروايته:

"قال الأصمعي: قال أعرابي:

الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فإذا

تكلم بها كان أسيراً في وثاقها".
(بهجة المجالس: ١/٧٩).

الاتباع:

الاتباع في اللغة موضـــوع طريف، ومن أهميته عند الأدباء أن أُلِّف فيه، على الأقل، أما الفصول فلا تكاد تحصى، ويعد الاتباع في اللغة وتداً تُسند به الكلمة، وكان للأصمعي في هذا مشاركة:

"قال الأصمعي في الاتباع:
رجل خيّاب تياب".
(كتاب الأتباع والمزاوجة: ٤٦).

فإذا كانت "خياب" لها معنى يســـتقى من جذورها، وهو الخيبة، أما تياب فلا معنى لها.

قوة بني يربوع:

الفخر بين القبائل لا ينقطع، ويبدو أنه في زمن الأصمعي كان هناك طرح لضخامة بنو يربوع، وشجاعتهم، وليطمئن قلب الأصمعي عن هذا القول بدأ التحري، ويخبرنا عن إحدى هذه الخطوات:

"قال الأصمعي:

قلت لسليط: أكان عتيبة بن الحارث ضخماً؟

قال: لا، ولا من قوم ضخام، يعني بني يربوع".

(عيون الأخبار: ١/٢٠٥).

جواب السؤال:

كم من كلمة قالت لصاحبها دعني، يحب الكبار في المقام أن يداعبوا الكبار في السن، ليضفوا على الجلسة روح البهجة، وجو السرور، ويسرع كبير المقام إلى اقتناص سانحة مرت بفكره، ولم يقلبها على أوجهها، وظن أنها تؤدي غرضه خير أداء، ولكن يفاجأ بما لم يكن في الحسبان. وهذا الأصمعي يضعنا في صورة من هذه الصور.

"قال الأصمعي:

دخل مالك بن هبيرة السكوبي على معاوية، فأدناه وقربه، وكان شيخاً فانياً، حسن الجسم، فخدرت رجله، فبسطها.

فقال له معاوية:

ليت لنا، يا أبا سـعيد، جارية مثل ساقك!

فقال: يا أمير المؤمنين، والساق متصل بمثل عجيزتك.

فقال معاوية: البادي أظلم".

(البصائر: ٣/١٤٨).

روعة، روعة، روعة:

إن القارئ سوف يشارك المرأة التي ذكرها الأصمعي في قصتها، دموعَها، فمن له قلب لن يستطيع أن يمنع نفسه من البكاء، يالها من امرأة!:

"قال الأصمعي:

خرجت أنا وصديق لي إلى البادية، فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق، فقصدنا نحوها، فسلمنا، فإذا امرأة ترد علينا السلام، ثم قالت:

ما أنتم؟

فقلنا: قوم ضالون، رأيناكم فأنسنا بكم.

فقالت: يا هؤلاء، ولّوا وجوهكم عني، حتى أقضي حقكم ما أنتم أهل له.

ففعلنا، فألقت لنا مسحاً، فقالت:

اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني.

ثم جعلت ترفع الخيمة، وتردها،

إلى أن رفعتها، فقالت:

أســـأل الله بركة المقبل؛ أما البعير فبعير ابـــني، وأمـــا الراكب فليس بابني.

فوقف الراكب عليها، فقال:

يا أم عقيل، عظـــم الله أجرك في عقيل.

قالت: ويحك! مات ابني؟

قال: نعم.

قالت: وما سبب موته؟

قال: ازدحمت عليه الإبل، فرمت به في البئر.

فقالت: انزل فاقض ذمام القوم.

ودفعـــت إليـــه كبشـــاً، فذبحه،

وأصلحه، وقرّب إلينا الطعام، فجعلنا نأكل، ونتعجب من صبرها.

فلمـــا فرغنا خرجـــت إلينا، وقد تكورت، فقالت:

ياهؤلاء، هل فيكم أحد يحسن من كتاب الله - تعالى - شيئاً؟

قلت نعم، أنا.

قالت: اقرأ عليّ آيات من كتاب الله - عز وجل - أتعزّى بها.

قلت: يقول الله تعالى، وجل جلاله:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾

(البقرة: ١٥٥-١٥٧).

قالت: آلله، إنها لفي كتاب الله - عزّ وجلّ - هكذا؟

قلت: آلله، إنها لفي كتاب الله - تعالى - هكذا.

قالت: السلام عليكم.

ثم صفّت قدميها، وصلت ركعتين، ثم قالت:

إنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله أحتسب عقيلاً.

تقول ذلك ثلاثاً.

اللهم إني فعلت ما أمرتني، فانجز لي ما وعدتني".

(الجليس الصالح: ٣/١٢٩).

عقاب ولا عقاب:

هذا عقاب عجيب، لأنه مبتكر وطريف، الألم فيه كان نفسيا، ولعله أصاب الهدف، هذا هو الأصمعي، صاحب الغرائب يروي لنا إحدى الغرائب:

"قال الاصمعي:

دخلت على جعفر بن يحيى بن خالد يوماً من الأيام، فقال لي:

يا أصمعي، هل لك من زوجة؟

قلت: لا.

قال: فجارية؟

قلت: جارية للمهنة.

قال: فهل لك أن أهب لك جارية نظيفة؟

قلت: إني لمحتاج إلى ذلك.

فأمر بإخراج جارية إلى مجلسه، فخرجت جارية في غاية الحسن والجمال والهيئة والظرف، فقال لها:

قد وهبتُك لهذا.

وقال لي: يا أصمعي، خذها.

فشكرته، وبكت الجارية.

وقالت:

يا سيدي تدفعني إلى هذا الشيخ، مع ما أرى من سماجته، وقبح منظره؟

وجزعت جزعاً شديداً.

فقال: يا أصمعي، هل لك أن أعوضك منها ألف دينار؟

قلت: ما أكره ذلك.

فأمـــر لي بألف دينـــار، ودخلت الجارية، فقال لي:

يا أصمعي، إني أنكرت على هذه الجارية أمراً، فأردت عقوبتها بك، ثم رحمتها منك.

فقلت:

أيها الأمير، فألا أعلمتني قبل ذلك، فـــإني لم آتك حتى ســـرحت لحيتي، وأصلحـــت عِمتي، ولو عرفت الخبر لحضرت على هيئة خلقتي، فوالله لو رأتني كذلك ما عاودت شـــيئاً تكره منها أبداً ما بقيت".

(الجليس الصالح: ١١٨).

لا فُضَّ فوها:

أعجب الأصمعـــي بفصاحة أعرابية نالت مبتغاها بحسن منطقها:

"عن الأصمعي، قال:

دخلت أعرابيـــة على عبيدالله بن أبي بكـــرة، بالبصـــرة، فوقفت بين السماطين، وقالت:

أصلح الله الأمير، وامتع به.

حدّرتنا إليك ســـنة اشتد بلاؤها، وانكشـــف غطاؤها، وجئتك لِعود صبية صغار، وآخرين كبار، من بلدة شاســـعة، تخفضني خافضة، وترفعني رافعـــة، لملمات مـــن الدهر؛ أذهبن لحمي، وبرين عظمي، وتركنني والهة،

أدور بالحضيض، وقد ضاق بي البلد العريض، فســألت أحياء العرب عن المعطي سائله، المبذول نائله، فدللت عليك.

أنا امرأة من هوازن، مات الوالد، وعدم الوافد، وأنت بعد الله – غياثي، ومنتهــى أملي، فاصنع بي خصلة من ثلاث:

إما أن تقيم أودي، أو تحسن رفدي، أو تردني إلى بلدي.

قال عبيدالله:

اجلسي، وكل ذلك عندي، وأمر أن يجــرى عليها كما يجــري على عياله".

درس نحو متكامل:

"قال الأصمعي:

بينا أنا في بعض البوادي إذا بصبي معه قربة قد غلبتـــه، فيها ماء، وهو ينادي:

يا أبت أدرك فاها، قد غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها.

قـــال: فوالله لقد جمـــع العربية في ثلاث".

(كتاب الأذكياء: ١٥٧)[١].

ظالم ومظلوم:

ومن بين رحلات الأصمعي إلى البادية هذه القصة:

---

(١) راجع ما سبق (ص ٨٨).

"قال الأصمعي:
سمعت أعرابياً ذكر بعض الحساد، فقال: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاســـد، حزن لازم، ونَفَس دائم، وعقل هائم".
(الموشى: ١٣).

من ذَمِّ المزاح:

قصة يرويها الجاحظ فيها موعظة حسنة، وهي من البيئة الصحراوية المحببة للأصمعي:
"أخبرني أحمد بن عبيد، قال:
أخبرني الأصمعـــي: عن رجل من العرب، قال:
خرجـــت في بعض ليـــالي الظلم،

فإذا بجارية كأنها صنم، فراودتها عن نفسها.

فقالت:

يا هذا، أمالك زاجر من عقل، إذا لم يكن واعظ من دين؟!

قلت: والله ما يرانا إلا الكواكب.

قالت: يا هذا، فأين مكوكبها؟

قلت: إنما كنت أمزح.

فقالت:

فإياك، إيـــاك المـــزاح فإنه
يجرّئ عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد وضاته
ويورث بعد العزّ صاحبه ذلا

(الموشى: ٢١).

إرشاد وتنبيه:

مما يدخل في باب الإرشـــاد والموعظة هذه القصة التي يرويهـــا الأصمعي، على مجرى يقرب من القصة السابقة:

"حكى الأصمعي قال:

سمعت أعرابياً يقول لأخ له:

أُخـــيّ، إن الصديق يحوّل بالجفاء،

وإني أراك رطب اللســـان من عيوب

أصدقائك، فلا تزدهم في أعدائك".

(الموشى: ٢٧).

تعريف العشق:

نعود مع الأصمعي للباديـــة، لينقل رأي بعض أهلها عن العشق وتعريفه:

"بلغني عن الأصمعي أنه قال:

قلت لأعـــرابي مرة: ما العشـــق فيكم؟

قال: النظرة بعد النظرة، وإن كانت القبلة بعـــد القبلة، فهو الوصول إلى الجنة.

قلت: ليس العشق عندنا كذلك.

قال: فما هو عندكم؟

قلت: تفـــرق بين رجليها، وتحمل نفسك عليها.

فقال: بأبي أنت لست بعاشق إنما أنت طالب ولد".

(الموشى: ١١٥).

العشق وعهوده:

أدخلنا الأصمعي في روض واسع لا يرى آخره، وتوغل، وتوغلنا معه، فبجانب ما مرّ، هنا المزيد:

"خُبِّرت عن الأصمعي، قال:

كان رجل من الأعراب يظهر الوجد لامرأته، والحب لها، وكانت تظهر له مثل ذلك، فتعاهدا ألا يتزوج منهما الباقي بعد صاحبه، فاختُرمت المرأة قبله، فخطب الرجل امرأة من يومه ذلك.

فقيل له: أتخطب بعد يمينك وعهدك؟

فقال:

خطبتُ كمـــا لو كنت قبلها
لكانت، بلاشك، لأول خاطب
إذا غاب بعل كان بعل مكانَه
ولابد من آت وآخر ذاهب"

نظرة في الشعر:

يتوقع أن يجيد الأصمعي الحكم على الشعر، وهو صاحب صنعته، ومديم مصاحبته، وهو ذو بصيرة وعمق تدبر فيه:

"كان الأصمعي يقول:
أهجي بيت للعرب قول الأعشى في علقمة:
تبيتون في المشتى ملاءاً بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ويروى أن علقمة لما سمع هذا البيت
بكى، وقال:
اللهـــم اجـــزه واخـــزه إن كان
كاذباً".
(خاص الخاص للثعالبي: ١٤٦).

صيد الحكمة:

يفـــرح الأصمعي، مثل كل عالم، بالحكمة يسمعها، والقول الآتي الذي يرويه ملئ بالخلق الحسن.

"روى الأصمعي عن العلاء بن جر
عن أبيه قال:
قال الأحنف بن قيس:
لو جلس إليّ مِئة لأحببت أن ألتمس

رِضى كل واحد منهم".
(بهجة المجالس: ٤٥).

حكمة أعرابية:

التقـــط الأصمعي من البيئـــة الصحراوية وأهلها، قول حق، واتحفنا به:

"عن الأصمعي قال:

قال أعـــرابي: الســـكوت صيانة للسان، وستر للعي".

(بهجة المجالس: ٧٨).

الأصمعي والشعر:

رغم أن الأصمعي متهم من بعض الفئات الأدبية بأنه ينحل الشـــعر لبعض الأشخاص الذين يتحدث عنهم، فهو هنا ينكر صراحة

أن يكون يقول الشعر:

"قيل للأصمعي:

لماذا لا تقول الشعر؟

قال: الذي أريده لا يواتيني، والذي يواتيني لا أريده، أنا كالمسـّن أشحذ ولا أقطع".

(بهجة المجالس: ٩٦).

مجالس فكر:

يكشف لنا الأصمعي عن الأفكار التي تدور عندما يجتمع العلماء عند حاكم؛ حينئذ تنساب الأفكار الصائبة الدقيقة التي استقيت من التجارب:

"قال أبو يعلي:

حدثنا الأصمعي، قال:

حدثنا محمد بـــن حرب الزيادي، قال:

حدثني أبي قال:

قال زياد لجلسائه:

من أغبط الناس عيشاً؟

قالوا: الأمير وجلساؤه.

فقال: ما صنعتم شيئاً؛ إن لأعواد المنابر هيبـــة، وإن لقرع لجام البريد لفزعة، ولكن أغبـــط الناس عندي رجل له دار لا يجرى عليه كراؤها، وله زوجة صالحة، قد رضيته ورضيها، فهما راضيان بعيشهما، لا يعرفنا ولا نعرفه، فإنـــه إن عرفنا وعرفناه أتعبنا

ليلَه ونهاره، وافسدنا دينه ودنياه".
(بهجة المجالس: ١١٧).

شَمُّ الأطفال:

أعجب الأصمعي ثلاث كلمات قالها حكيم، وها هي:

"رَوى الرّياشي عن الأصمعي قال:

قال شبيب بن شيبة:

عيش الدنيا في ثلاث:

محادثة الإخوان، ومباشرة النسوان وشمّ الصبيان (أي مداعبة الأطفال)".

(بهجة المجالس: ١١٩).

هذا يذكر بشيخ القبيلة الذي أسر، وحاول أن يفرج عنه، ولم ينجح، وكان يلح، ويعرض فداءاً مغرياً دون طائل، ثم بعد مدة سكن، ولم يعد يهمه الإفراج عنه، وتبين أن السكوت سببه ابنه الذي تعدى سن المداعبة، وهي بهجة الدنيا.

المنى والحلم:

المنى ذات أجنحة تحلق فوق رأس المتمني، ولو مدّ يده ليمسكها، لم يجد إلا الهواء، والهواء لا يمسك باليد، والحلم من ألغاز الحياة، كيف يجيء ويذكر وينسى، ولا صلة له في الغالب بالواقع:

"قال الأصمعي:

قال ابن أبي الزناد:
"المنى والحلم إخوان".
(بهجة المجالس: ١٢٢).

إذا نزل القدر:

الأصمعي من الذين أخذوا على عاتقهم التأكيد على أن على المرء الإيمان بالقدر، ولهذا فهو يعتني بالرأي إذا جاء معضداً لدعوته، ويرحب، أكثر إذا جاء شعراً:

"أنشد أبو حاتم عن الأصمعي:

يا أيها المضمر همّا لا تُهَم
إنك إن تُقدر لك الحمّى تُحمَ
ولو علوت شاهقاً من العلم
كيف توقيك وقد جفّ القلم"

(بهجة المجالس: ١٤٠).

نجاة بموت:

يجعل الله – سبحانه وتعالى – بعد العسر يسرا، ويأتي هذا في صورة غريبة ونادرة، فيصطاد الأصمعي سانحها، ويطبق يديه عليها، فلا يدعها تفوته، وجزي عنا خيراً، لأنه أشركنا معه في تدبرها. والله – سبحانه – قادر على كل شيء:

"ذكر الصحاوي قال:

حدثنا أحمد بن أبي عمران، قال:

حدثنا أبو نصر أحمد بن حاتم قال:

حدثنا الأصمعي، عن أبي عمرو بن

العلاء، قال:

استعمل الحجاج أبي على بعض أعماله، فنقم عليه، فتوارى أبي عنه في بادية قومه، وأنا معه. فبينما أنا في سحر من الأسحار إذ مرّ راكب وهو يقول:

صبِّر النفس عند كل مُلمٍّ
إن في الصبر حيلةَ المحتال
لا تضق في الأمور ذرعا فقد
يُكشف غمَّاء بغير احتيال
ربّما تَجزَع النفوس من الأ
مر له فَرجَةٌ كَحلّ العقال

قال: فقلت ما ذاك؟

قال: مات الحجاج، فوالله ما أدري

بأيهما كنت أشدّ فرحاً، أبقوله: "مات الحجاج، أم بقوله "فرجة".
(بهجة المجالس: ١/١٨٣).

الرفق ممدوح:

الرفق واللين مما يركـــن إليه العالم الموفق، والأصمعي لركونه إلى ذلك احتفظ في ذهنه بما يؤكد فائدة اللين والرفق، ويبث ذلك في مجتمعه:

"روينا عن نصر بن علي الجهضمي، قال:

دخلت على أمير المؤمنين المتوكل، فـــإذا هو يمـــدح الرفـــق، فأطنب، فقلت:

يا أمير المؤمنين، أنشدني الأصمعي
في الرفق، فقال:
هاته، فقلت:
لم أر مثـــل الرفـــق في لينـــه
أخرج العـــذراء من خدرها
من يســـتعن بالرفق في أمره
قد يخرج الحية من جحرها"

لا تتذمر ارحل:

أعجب بيت الاصمعي، بيت مليء بالحكمة، يقف أمام المتذمريـــن، خاصة في أيامنا هذه، من الذيـــن "لا يعجبهم العجب، ولا الصيام في رجب" كما يقول العامة.

هذا البيت أعجب الأصمعي كما أعجبنا

لمـــا فيه من منطق، وســـدٍّ، بالمنطق، لأبواب الحِجَاج واللجج:

"أنشد أبو عبيد عن الأصمعي:

إذا كنت في دارٍ يهينك أهلها

ولم تـــكَ مكبولاً بها فتحوّل"

(بهجة المجالس: ٢٢٩).

حسن الجوار:

حسن الجوار ممتدح في الجاهلية والإسلام، والرسول - عليه الصلاة والسلام - أوصى بالجار، والأصمعي، العالم النحرير، لا يفوته تقييد قول صائب في هذا:

"قال الأصمعي:

ومن أحســـن ما قيل في حســـن

الجوار:

جاورت شيبان فاحْلَولَى جوارُهُم

إن الكرام خيار الناس للجار"

(بهجة المجالس: ٢٩٠).

بشاعة كفر المعروف:

إعجاب الأصمعي بأبنـــاء البادية وبناتها تجعله لا يهمل قولاً حكيماً سمعه منهم، وإن كان صغيراً في مبناه، مختصراً في ألفاظه، فإنه يحرص أن يوثقه في ذاكرته:

"قال الأصمعي:

سمعت أعرابياً يقول:

أسرع الذنوب عقوبة كُفر المعروف".

(بهجة المجالس: ٣٠٧).

إعط القوس باريها:

هذه الجملة نرددها، ولا نعرف بقيتها، وهذا هو الأصمعي يكمل لنا ما كان ناقصاً:

"قال الرقاشي:

سمعت الأصمعي يقول:

سمعت الأعراب تنشد:

يا باري القوس بريا ليس تحكمه

لا تفسد القوس إعط القوس باريها"

(البصائر: ١/١٣).

الاتجاه إلى الله:

الاتجاه إلى الله بإخلاص من إنسان معتاد، وليس عالماً، يجذب نظر العالم بصواب الاتجاه، وها هو الأصمعي، المعجب بالبادية وأهلها،

يتنبه إلى شيء من هذا:

"قال الأصمعي:

سمعت أعرابية تقول:

إلهي، ما أضيق الطريق على من لم تكن دليلَه، وأوحشه على من لم تكن أنيسه".

(البصائر: ١/١٤).

الوفاء بالدين:

الأصمعي وتعلقه بالأعراب يجعله لا يكتفي بالنظر الغريب، ولكنه يتابع الأمر، أو يستقى كنه من تابعه، حتى يصل إلى عمقه:

"قال الاصمعي:

رؤي أعرابي في حزيران على شاطئ

نهر، يغـــوص غوصة ثم يخرج، فيعقد عقدة في حبل، فقيل له: ما هذا:

قـــال: جَنابـــات أقضيهـــا في الصيف".

(البصائر: ٢/٩٨).

الفصاحة جذابة:

الأصمعـــي عالم يقدر الفصاحـــة، لوفائها بغرض المتكلم، ويعرف مضانها، وهي مضارب البادية؛ لقد استوقفته عبارات فصيحة، معبرة خير تعبير:

"قال الأصمعي:

ولّى جعفر بن سليمان رجلاً بعض البدو، ثم وجّه من يسأل عنه، فلقي

شيخاً من الأعراب:

فقال: كيف واليكم؟

فقال: مـــا يُطبق جفنا، ولا يعرف أَفْناً (ضعف العقل)، وكل يوم يزداد فعله حسناً، يبرئ بدوائه، ولا يستبد برائه، قد أذكى العيون على عيونه، وتيقـــظ في جميع فنونـــه، فهو غائب كشـــاهد، ومانع كمعطٍ، والمحسن آمن، والمسيء خائف".

(البصائر: ٢/٢٠٠).

حكم الهوى:

الأصمعي ثاقب لؤلـــؤ، وبصير جواهر، ومترصـــد درر، وها هو يعجـــب ببيت فيه

إبداع في حقله:

"قال الأصمعي:

كان عثمان البتِّي يتمثل دائماً:

وفي الممشـــى إليك عليّ عار

ولكـــن الهوى مَنَـــع الفرارا

(البصائر: ٢/٤٢).

كانوا وكانوا:

سوف نمشـــي خلف الأصمعي في اختياره لدرر الكلام، وصدق الأقوال، يلتقطها من أفواه نساء البادية:

"قال الأصمعي:

وصفتْ أعرابية قومها فقالت:

كانوا والله لرحـــى الحرب ثفالاً،

ولقدرها جفالاً، وللأعداء نكالاً، وفي الندى أزوالاً، وعلى الخصوم ثقالاً. أنحى عليهم الدهر بشفرتيه، فأطفأ جامحهم، واقتص ناجمهم، وطمس آثارهم، وأباد غضراءهم؛ فأصبحت المنازل دارسة، والأعلام طامسة، وبذلك جرت عادة الدهر".

(البصائر: ٢/١٤١).

قبول النصيحة:

النصيحة ذات جانبين، أحدهما الناصح والثاني من أبدي له النصح، ولكل واحد منهم جوانبه، سواء كان ذلك من طبيعة النصيحة أو قبولها، أو العزوف عن ذلك،

وقد اختار لنا الأصمعي صورة مفيدة، يمثلها البيتان التاليان:

النصح أرخص ما باع الرجال فلا
تَرُدُد على ناصح نصحاً ولا تلُم
إن النصائح لا تخفى مناهجها
على الرجال ذوي الألباب والفهم

(البصائر: ٤/٣٥).

تفسير حلم:

استحسن الأصمعي أن يروي حلماً وتفسيره، وهذا الأمر هو شغل الناس الشاغل، في كل زمان ومكان، لما فيه من غموض، ومحاولة جلاء هذا الغموض، وقد اشتهر أناس في تفسير الأحلام، وكانوا موفقين في

تفسيرهم، ولكن شوه هذا الفن أولئك الذين يدعون المعرفة وهم أجهل من دابة.

"قال الأصمعي:

قيل لابن مضاء: فلان رأى في المنام كأنه يخطب على المنبر خصيٌّ، فقال: يقدم عليكم أمير عفيف الفرج".

(البصائر: ٤/٣٧).

أعرابي يحاذر الكذب:

سأل الأصمعي سؤالاً واضحاً سهلاً، فجاء الجواب مركباً بطريقة جعلت الأصمعي يطبق على الجواب بكلتا يديه، ويتحفنا به:

"قال الأصمعي:

قلت لأعرابي كنت أعرفه

بالكذب:

أصدقت قط؟

قال: لولا أني أصدق في هذا لقلت:

لا".

(البصائر: ٤/٢٠٦).

مائدة متكاملة:

بعد الجوع جاء الشبع، وبعد العطش جاء الارتواء، وبعد العناء جاءت الراحة، كل هذا بطريقة تستوجب وقفة استغراب:

"قال الأصمعي:

حدثني شيخ عن رجل من الأعراب

قال:

مكثت ثلاثـــاً لا أذوق طعاماً ولا

شراباً، حتى خوى رأسي، فسمعت له دوياً، فلما أصابني الجهد دعوت الله تعالى، وإذا دعا الله العبد بقلب صادق كانت معه من الله عين بصيرة، فأتيت جفراً فيه ذئبان، فرميتهما، فأصبتهما، ثم أتيت جفراً آخر فيه ماء فاستقيت، ثم رجعت وهما على مُهيديتيهما (على حالهما)، وإذا لهما نحفة (شبه الزفير)، فأكلت وادهنت".

(البصائر: ٤/٢٢٢).

روح المرح:

عرفنا عـــن الأصمعي روحه المرحة، ولهذا فلا غرو أن يحتفـــظ في ذاكرته ببعض ما يمر

عليه مما يعد فكها:

"قال الأصمعي:

كان رجل مـــن الأم الناس على اللبن، وكان كثير الرِّسل، فقال بعض الظرفاء:

الموتُ أو أشـــرب من لبنه، وكان معه صاحب له، فجاء وتغاشى على باب صاحب اللبن، فخرج، فقال:

ما باله؟

فقال صاحبـــه: أتاه أمر الله تعالى، وهو أشـــرف بني تميم؛ أما إن آخر كلامه: اسقني اللبن.

فقال اللئيم: يا غلام جئ بعلبة من لبن.

فأتاه بها، وأسنده إلى ظهره، فسقاه، فأتى عليها ثم تجشأ.

فقال صاحب الظريف:

أرى هذه الجشأة راحة الموت.

فقال اللئيم: أماتك الله وإياه".

(البصائر: ٤/٢٤٠).

دعاء مبتكر:

تأتي بعض الأدعية من قلب مخلص، فتبرز في محيط الأدعية فريدة، يقف من يسمعها متعجباً خاشعاً، وهكذا فعل الأصمعي عندما سمع دعاءاً هذا وصفه:

"قال الأصمعي:

سمعت أعرابياً، وهو متعلق بأستار

الكعبة يقول:

إلهي، مـــن أولى بالزلل والتقصير مني، وقد خلقتـــني ضعيفاً. إلهي من أولى بالعفو منك، وقضاؤك عليّ نافذ، وعلمك بي محيط؛ أطعتك بإذنك والمِنّة لك عليّ، وعصيتك بعلمك فالحجة لك علـــيّ؛ فبثبات حجّتك وانقطاع حجتي، وبفقري إليك، وغناك عني، إلا غفرت لي ذنوبي".

(البصائر: ٤/٢٤٢).

منطق لا غبار عليه:

عندما يتكلم المتكلـــم بمنطق، فلا مدخل لأحـــد عليه، لأن قولـــه في صومعة محصنة،

وقلعة واقية:

"قال الأصمعي:

لمـــا ولي مروان بـــن محمد الخلافة أرسل إلى ابن رغبان، الذي نسب إليه بعد ذلك مسجد ابن رغبان، ليولّيه القضاء، فرأى له ســـجادة (زبيبة في الجبين) مثل ركبة البعير، فقال:

يا هذا، إن كان ما بك من عبادة فما يحلّ لنا أن نشـــغلك، وإن كان رياءاً فما يحل لنا أن نوليك".

(البصائر: ٥/٧٥).

المنطق الحسن:

القول الصادق المعـــبر يجذب الأصمعي،

خاصة إذا جاء من ابن الصحراء أو ابنتها:

"قال الأصمعي:

قيل لأعرابية:

ما أحسن عزاءَك عن ابنك؟

فقالت: إن فقـــدي ابني أمّنني من المصائب بعده".

(البصائر: ١٠٢).

الآمال للإنسان:

ونسير مع الأصمعي في تسقّط أقوال ابن البادية الحكيمة المرمى، الصادقة المبنى، الدقيقة المعنى:

"قال الأصمعي:

قـــال أعـــرابي: إن الآمال قطعت

أعناق الرجال، كالسّـــراب غرّ من رآه، وأخلف مـــن رجاه، ومن كان الليل والنهار مطيتيه أســـرعا به، ثم انشد:

المرء يفرح بالأيـــام يقطعها
وكل يوم مضى نقص من الأجل"

(البصائر: ٥/١٠٢).

هذا البيت صـــادق كل الصدق، ويكفي أن نذكر الذين يحتفلون بعيد ميلادهم، وهم كبار، أما الصغار فالأمر يختلف.

الحرص على الإخوان:

أستعيد مع القارئ الكريم قول أحد خلفاء بني أميه:

لقد ركبنا الفـــاره، وتبطنا الكاعب، فلم نجد خيراً من محادثة الرجال.

والأصمعي يروي شيئاً بهذا المعنى عن أحد الأعراب:

"قال الأصمعي:

قال أعـــرابي: إن أعجزَ الناس من قصرّ في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم".

(البصائر ٥/١٠٢).

الأصول والفروع:

لا نزال مع الأصمعي في الغوص على الدرر في رمال الصحراء:

"قال الأصمعي:

إذا نبتت الأصول في القلوب
نطقت الألسن بالفروع، والله يعلم
أن قلبي لك شاكر، ولساني ذاكر،
هيهات لن يَظهر الودّ المستقيم إلا من
القلب السليم".
(البصائر: ٥/١٠٢).

سبب نحول الجسم:

يبصر الأصمعي شيئاً غريباً فيتابع أمره، ليصل إلى كنه ما وراء المظهر، فإن كان السؤال ضحلاً، فقد جاء الجواب بخلافه:

"قال الأصمعي:
قلت لأعرابي: ما أنحل جسمك؟
قال: سوء الغذاء، وجدوب المرعى،

واعتلاج الهموم، ثم أنشأ يقول:

الهمّ مـــا لم تُمضه لســـبيله
داء تضمّنـــه الضلوع مقيم
ولربما استيأســـُت ثم أقول لا
إن الذي ضمن النجاح كريم"

(البصائر: ٥/١٠٣).

حال جدب:

المطر مصدر بهجة ابـــن البادية، والجدب والقحط عدواه اللـــدودان، وفي ذهاب من الأصمعي إلى البر، وكان الوقت قحطاً، سأل أعرابية عن حالتهم:

"قال الأصمعي:

سألت امرأة من الأعراب عن حال لحقتهم فقالت:

سـنة جَرَدَتْ، ونار خمدت، وحال جهدت، فهل فاعـل للخير، أو دالّ عليـه؟ أو لا، فمن يجير، رحم الله من رحم، وأقرض من لا يظلم".
(البصائر: ١١٣/٥).

رأي أعرابي:

يتوقـع الأصمعي أن يسـمع قولاً طريفاً عندما يثير مسـألة دينية عميقة، مع أعرابي، وقد جاء الجواب قصيراً وافياً كافياً:

"قال الأصمعي:

قيل لأعرابي: صلب الخليفة زنديقاً، فقال: من طلّق الدنيا فالآخرة صاحبته، ومن فارق الحق فالجذع راحلته".
(البصائر: ١١٣/٥).

الإيمان بالموت:

يطيب للأصمعي أن يدخل إلى الحيّز الديني عند الأعراب، ويخرج ومعه جواب يستحق في نظره تسجيله، أو يستعير ما فعله غيره، ويأتي به إلينا.

"قال الأصمعي:

قيل لأعرابي: أتؤمن بالموت؟

قال: إي والله.

قيل: كيف تؤمن به؟

قال: إني رأيت آبائي وإخواني وأهلي وأكثر عشيرتي قد ماتوا؛ فعلمت أني لاحق بهم".

(البصائر: ٥/١١٣-١١٤).

ضرب بضرب:

من القصص التي أعجبت الأصمعي، لأن فيها حسن تخلص من مأزق ليس سهلاً التخلص منه. إنما هو الذكاء:

"قال الأصمعي:

ضرب أبو جحش الأعرابي غلماناً للمهدي، فاستعدوا عليه إليه، فقال:

اجترأت على غلماني فضربتهم؟!

قال: كلنا، يا أمير المؤمنين غلمانك، ضرب بعضنا بعضا.

فخلّى سبيله".

(البصائر: ٥/١٣٦).

محاجاة:

هذه صورة يرسمها الأصمعي لجانب من

جوانب حياة الأعراب، وأحاديثهم، وهي من مكملات بهجة الحياة عندهم وقت السمر.

وقد ترددت في نقلها هنا؛ لأن فيها أمران أحدهما خرافي، وهو مشاركة الجن ابن آدم في بعض نشـــاطه، وهو أمر مقبول في تلك الأيام.

هذا أمر والأمر الثاني ما ورد في آخر النص من عدم العِفّة، إلا إن فيها رجحان المرأة على الرجل، فهي عفيفة وهو بذيء، ولجأ إلى هذا المنحدر لأنه غُلب.

"قال الأصمعي:

من ملح أحاديـــث الأعراب أنهم قالوا:

كانت امـــرأة تحاجي الرجال، فلا

يـــكاد أحد يغلبها، فأتاهـــا جِنّي في صورة إنسان، فقال لها:

حاجيتك، فقالت له: قل.

فقال: كاد.

فقالت: كاد العـــروس أن يكون ملكاً.

فقال: كاد.

فقالـــت: كاد المنتعـــل أن يكون راكباً.

فقال: كاد.

فقالـــت: كاد المســـافر أن يكون أسيراً.

ثم ولّى، ليذهب، فقالت:

حاجَيْتُك، فرجع، فقالت:

عجبت.

فقال: عجبت من الحجارة لا يعظم صغيرها، ولا يصغر كبيرها.

فقالت: عجبت.

فقال: عجبت من السبخة لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها.

فقالت: عجبت.

فقال: عجبت من حُفَيرة بين رجليك لا يدرك قعرها، ولا يملّ حفرها.

فاستحيت وتركت المحاجاة".

(البصائر: ٥/١٤٥).

لقد أحسنت هذه العفيفة في إقلاعها عن المحاجاة، ما دام يدخل حلبة الفرسان من ليس منهم.

ويبدو أن السمر يستوجب شيئاً مثل تلك المحاجاة، خاصة في الصحاري والأرياف، وفي مصر شـــيء مشابه تمام المشابهة لهذه الطريقة في المحاجاة، وهي "إشمعنَـــى". وتبدأ طريفة جذابة، وغالباً مـــا تنتهي بمثل ما انتهت إليه تلك، وفي مصر لم أرها إلا بين الرجال.

الندى ابن الندى:

ســـوف نذهب مع الاصمعي في إعجابه بالبيتين الآتيين:

"قال الأصمعي:

أنشد أعرابي خالد بن عبدالله:

تبرَعت لي بالجود حتى نعشتني

وأعطيتني حتى حسبتك تلعب

فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى
حليف الندى ما للندى عنك مذهب"
(البصائر: ٥/١٨١).

وصف حال:

الأصمعي يحرص أن تكمل معلوماته، فيتابع مصادرها، ويبحث عن دواخلها، وهذه القصة إحدى هذه المحاولات:

"قال الأصمعي:

قيل لبني عيســـى: كيف صبرتم، وكيف كان حالكم؟

قالوا: طاحـــت والله الغرائب من النســـاء فما بقي إلا بنات العم، وما بقي معنا من الإبل إلا الحمر الكلف،

وما بقي مـــن الخيـــل إلا الكميت الوقاح، وطاح ما ســـوى ذلك من الأهلين والمال".

(البصائر: ٦/١٥).

شيء من التطفّل:

يكشف الأصمعي عن داخل نفسِ طفيّلي دخل معه في حديث، ولغرابة ما فيه سَـــجله لنا:

"قال الأصمعي:

كان بالبصـــرة أعرابي يتطفل على الناس، فعاتبته في ذلك، فقال:

والله ما بُنيت المنازل إلا لتُدخل، ولا وُضع الطعام إلا ليؤكل، وما قَدَّمتُ

هدية فأتوقع رسولاً، وما أكره أن أكون كَلاًّ ثقيلاً على من أراه بخيلاً، واقتحم عليه مستأنساً، وأضحك إن رأيته عابساً، فآكل برغمه، وأدعه لغمّه، وما احترق في اللهوات طعام أَطيب من طعام لا تنفق فيه درهماً، ولا تعنّي عليه خادماً.

ثم أنشد:

كلَّ يوم أدور في عرصة الحـ
ـي أشم القتار شم الذئاب
فإذا ما رأيت آثار عرس
أو خِتان أو مجمع الأصحاب
لم أروّع دونَ التقحم لا أر
هب دفعاً أو لكزة البواب

مســـتهيناً بما هجمت عليه
غـــير مســـتأذن ولا هيّاب
فتراني ألـــفّ بالرغـــم منه
كل ما قدموه لـــفّ العُقاب
ذاك أدنى من التكلف والغر
م وغيظ الخبّـــاز والقصاب"
(البصائر: ٦/٢٤).

مع أعرابية:

الأصمعي لم يكن في ذهنه شيء معين يسأل عنه أعرابية في البادية، ولهذا ســـألها ســـؤالاً عاماً، يوصل إلى ما عرف أن الأصمعي يهواه وهو الشعر:

"قال الأصمعي:

رأيت أعرابية بالنباج، فقلت لها: أتنشدينني؟

فقالت: إيها والله، إني لأنشد وأقول.

فقلت: فأنشديني.

فقالت:

لا بارك الله فيمن كان يخبرني
أن المحب إذا ما شاء ينصرفُ
وجد المحب إذا ما بان صاحبه
وجد الصَبيّ بثديي أمه الكلف

فقلت: فأنشديني من قولك، فقالت:

بنفسي من هواه على التنائي
وطول الدهر مؤتنف جديد

ومن هو في الصلاة حديث نفسي
وعدل الروح عندي بل يزيد"
(البصائر: ٦/٢٥).

المهّم المَخْبَر:

أجل إن المخـــبر في الغالب يغلب المظهر، والمثل العامي يقـــول: "ظِفَر الرجال خفي"، وكم من رجل تجتازه العين، وفي أثوابه أسد هصور"، وهذا الأصمعي يرسم صورة لبعض ذلك:

"قال الأصمعي:
جلس إليّ رجل تقتحمه العين، والله ما ظننته يجمع بين كلمتين؛ فاستنطقته فإذا نارٌ تَأَجَّج، فقلت:

أتحسن شيئاً من الحكمة تفيدنيه؟

فقال:

الرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام، والعطية بعد المنع أحمد من المنع بعد العطية، والإقدام على العمل بعد التأنِّي فيه أحسن من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه.

قال: فعظم والله في عيني حتى ملأ قلبي هيبة".

(البصائر: ٦/٢٥).

الفخر بالقبيلة:

في هذه القصة مظهر غريب على رجال البادية، وهو السجع المتوالي، وفيها كشف

لما كان يتبعه الأصمعي في تسجيل الأحاديث مع من يختاره من نساء الأعراب ورجالهم:

"قال الأصمعي:

حججت، فبينما أنا بالأبطح إذا شيخ في سحق عباء، صعل الرأس، أثطّ، أخزر[1]، أزرف، كأنما ينظر من فصّ زجاج أخضر، فسلمتُ، فرد التحية.

فقلت: ممن الشيخ؟

قال: من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانه.

قلت: فما الاسم؟

---

(١) صعل الرأس: صغيره، والأثط: قليل شعر اللحية، أخزر: ينظر بلحظ عينه.

قال: خميصه بن قارب.

قال: أعرابي أنت؟

قلت: نعم.

قال: من أيّه؟

قلت: من أهل البصرة.

قال: فإلى من تعتزي؟

قلت: إلى قيس عيلان.

قال: لأيّهم؟

قلت: أحد بني بغيض. وأنا أقلب ألواحاً معي.

قال: ما هذه الخشبات المقرونات؟

قلت: أكتب فيهن ما أسمع من كلامكم.

قال: وإنكم يُخلّون إلى ذلك؟

قلت: نعم، وأي خِلّة.

فصمت مليـــاً، ثمَ قال، في وصف قومه:

كانوا كالصخـــرة الصلدة تنبو عن صفحتها المعاول؛ ثم زحمها الدهر بمنكبه، فصدَعها صدع الزجاجة ما لها من جابر، فاصبحوا شذر مذر، أيادي سبأ؛ ورب قرم - والله - عارم قد أحسنوا تأديبه، ودهر غاشـــم قد قوّموا صعره، ومال صامت قد شـــتتوا تألّقه، وخِطة بؤس قد حسمها أسْـــوُهم، وحرب عبوس ضاحكتها أسنتهم.

أما - والله - يـــا أخا قيس، لقد

كانت كهولهم جحاجح، وشبّانهم مراجح، ونائلهم مسفوح، وسائلهم ممنوح، وجنابُهم ربيع، وجارهم منيع.

فنهضت لأنصرف، فأخذ بمجامع ذيلي، فقال: اجلس، لقد أخبرتك عن قومي حتى أخبرك عن قومك.

فقلت، في نفسي: إنا لله، سينشد في قيس، والله، وصمة تبقى على الدهر.

فقلت: حسبك، لا حاجة بي إلى ذكرك قومي.

قال لي: [بلى والله]، هم هضبة مُلملمة، العزّ أركانها، والمجد أغصانها،

تمكّنتْ في الحَسَب العِدّ، تملى الاصابع في اليد.

فقمت مسرعاً مخافة أن يفسد عليّ ما سمعت".

(البصائر: ٦/٢٥).

في الخطوة الأولى جرأة:

في هـــذه القصة يدخل بنـــا الأصمعي إلى الحاضرة:

"قال أبو العيناء، حدثنا الأصمعي، قال:

لما أفضى الأمر إلى معاوية تكافّت الشعراء عن مدحه حتى بَدَر الأخطل، ذات يوم، وعليه ثوب خزّ، ومطرف

خزّ، وعمامة خزّ، فركد بين الصفين، ثم قال:

تسمو الوفود إلى إمام عادل
معطـــى المهابة نافـــع ضرّار
وترى عليه إذا العيون شزرنهً
ســـيما الحليم وهيبـــة الجبار

(البصائر: ٦/٤٤).

القول والفعل:

إتباع القول بالفعل أمر ممتدح، أما خلافه فمذموم، والأصمعي اختار أن يعطي المستمع، أو القارئ، رأيه في هذا بالاستشهاد فيما جاء به الشعر من هذا الأمر.

"قال الأصمعي:

ما أحسن ما قال الأعشى:

وإني إذا مـــا قلت قولاً فعلته
ولست بمخلاف لقولي مبدل

وأنشد:

وإني لمنجـــاز لما قلـــت إنّني
أرى وصمةً أن يُخلفِ الحرّ واعدَه"

(البصائر: ٦/١٤٨).

بُعد المَرَامي:

طمـــوح الصغير في أن يقيّـــم فعل الكبار وارد في كل الأزمان، والســـبب أحياناً عدم النضج، وهنا مثل لغـــلام لم ير فيما سمعه ما يوجـــب الإعجاب، الملاحظة جاءت على ما تمثل به الأصمعي، وكرر التمثل:

"قال غلام لأبيه:

أسمع الأصمعي يردد بيتين لا أرى فيهما ما يرى.

قال: وما هما يا بني؟

قال، قوله:

سقى الله أياماً مضت لسن رُجّعاً

إلينا وعصر العامرية من عصر

ليالي أعطيتُ البطالة مقودي

تمرّ الليالي والشهور ولا أدري

فقـــال: يا بني، لو كنتَ عاشـــقاً لرأيت فيهما أضعاف ما يرى".

(البصائر: ٦/١٩٩).

أمر غير متوقع:

يـــروي الأصمعي قصة نهايتها غير متوقعة، ونرجو أن يكون ما صار هو من باب الكرم.

"قال الأصمعي:

حمل يزيد بن مُرّة شيئاً على رأس حمال، فعاسره في الكراء، فقال:

إن الذي على رأسك لك".

(البصائر: ٦/٢٢٤).

الأمر يحتاج إلى حساب:

ألقى الأصمعي ســـؤالاً على أعرابي، كما هـــي عادته مع الأعـــراب، ومتابعة أمورهم وأقوالهم، وكان السؤال مباشراً، ومن المتوقع أن يكون الرد مثلـــه، ولكن أبى البدوي إلا أن يدخـــل التاريخ برده، إذ كان الرد يحتاج

إلى عدٍّ وحســـاب، وهو منحـــة أعطاها الله – ســـبحانه – للأصمعي، ملاحق الغرائب، ومسجل المفاجأت.

"قال أبو العيناء:

قال الأصمعي:

قلت لأعرابي: أين مترلك؟

قال: من وراء اليمن بطالعين، يريد شهرين".

(البصائر: ١٦٣/٧).

العِيّ الأكبر:

يتبع الأصمعي مضيء الأقوال فيما يخص اللغة العربية والتحدث بها، وصلته بهذا قوية، أعجبه مثلاً القول الآتي لعبدالله بن المقفع:

"قال الأصمعي:
قال ابن المقفع لبعض الكتاب:
إيـــاك والتتبع لوحشـــي الكلام طمعاً في نيل البلاغة، فإن ذلك العي الأكبر".
(البصائر: ٨/٥٦).

دعاء من القلب:

يفرح الأصمعي عندما يسمع أعرابياً يدعو أو أعرابية، ويسارع إلى تسجيل ما سمع، وما يســـجل فيه إبداع، وإخلاص، وخروج عن الدعاء المعروف:

"قال الأصمعي:
سمعت أعرابياً يدعو ويقول:

اللهـــم إن ذنـــوبي تُخوِّفني منك، وجودك يبشِّـــرني عنك؛ فاخرجني بالخوف من الخطايا، وأوصلني بجودك إلى العطايا، حتى أكون غداً في القيامة عتيق كرمك، كما أنا في الدنيا ربيب نعَمك".

(البصائر: ٨/٨٩).

مفاخرة كاذبة:

ها هـــو الأصمعي يتحدث عـــن البادية والضيف الذي حلّ على رجل وامرأة فيها دار بينهما مفاخرة من أجل تقديم قرى للضيف، وقد حل ضيفاً عليهما.

سجل الأصمعي هذه المفاخرة العظمى، وما

أتت به من قرى يخجل، فالقول غير الفعل:

"قال الأصمعي: قال عيســـى بن عمر:

كنت بالباديـــة، فَتَضَيَّفتُ امرأة، فدخلت الخباء، فجعلت ترقِّق زوجها عن قِرى، ويُريغُها، فسمعتها تقول:

أنا ابنة الأقيل، المعمَ المخول، فإن كنت تجهلني فسل.

وسمعت الزوج يقول:

أنا ابن بلال، الكريم العمّ والخال، ثم أتتني بقرص مثل فرســـن البَكر، فأكلته".

(البصائر: ٩/١٩٤).

الأصمعي تغلبه امرأة:

الأصمعي، وهو يبحث عن النوادر في البادية، وغرائب الأقوال والأفعال، ينسى موقع سؤاله من نفوس الآخرين، ولو فكر في الحالة التي نحن بصددها لما سأل ما سأل. لقد نسي إرادة الله في هذا الأمر، فنبهته امرأة إلى ذلك، وعاتبته على اعتراضه على ما قدره الله، وهو العالم النحرير، وأخبرته عن السبب للحالة التي هي فيها وزوجها، ونبهته إلى ما كان ذهل عنه، حين ألهاه هدفه عن أن يفكر التفكير السليم. وأنا دائماً أحذر من أول فكرة تطرأ على الذهن، وعلى المرء أن يُقَلِّبها ليضمن، قبل إعلانها، أنه ليس لها جوانب ضعف.

لقد أقر الأصمعي بخطئه، وأنها أسكتته.

أجل، إنها أيقظته من سدرته:

"قال الأصمعي:

دخلت البادية فرأيت أعرابية من أحسن الناس وجهاً تحت أقبح الناس وجهاً.

فقلت: يا هذه، أترضين أن تكوني تحت هذا؟

قالـــت: يا هذا، لبئـــس ما قلت، لعله أحســـن فيما بينه وبين الله ربّه، فجعلني ثوابه، وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عقوبـــتي، أفلا أرضى بما رضي الله - تعالى - لي؟

قال: فأسكتتني، والله".

(البصائر: ٩/٢١١).

علوم الأصمعي:

كان الأصمعي يعرف بأنه صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح.

"قال عمر بن شبة: سمعت الأصمعي يقول:

أحفظ عشرة آلاف ارجوزة.

ويقال: كان الرشيد يسميه شيطان الشعر.

وقال الأخفش:

مـــا رأينا أحداً أعلم بالشـــعر من الأصمعي وخلف، فقلت:

أيهما كان أعلم؟

فقال الأصمعي، لأنه كان نحوياً".

(نزهة الألباب: ص ٩٠).

نقاش في كلمة "محرماً":

في هذا النقاش يتبين مستوى علم الأصمعي وعمقه وسعة أفقه.

"حكى محمد بن هبيرة قال:

قال الأصمعي للكسائي، وهما عند الرشيد، ما معنى قول الشاعر:

قتلوا ابن عفان محرما
ودعا فلم أر مثله مقتولا

قال الكسائي: كان محرما بالحج.

قال الأصمعي فقوله:

قتلوا كسرى بليل محرما
فتولى لم يتمتع بكفن

فهل كان محرما بالحج؟

فقال هارون للكسائي:

يا علـــي، إذا جاء الشـــعر فإياك والأصمعي.

قال الأصمعي:

محرماً أي في حرمة الإسلام، ومن ثَمّ قيل: مســـلم محرم، أي لم يحل من نفسه شـــيئاً يوجب القتل. وقوله: محرماً في كسرى، يعني حرمة العهد الذي كان له في عنق أصحابه".

(نزهة الألباء: ص ٩١).

الأصمعي وغريب اللغة:

يعد بعض الناس ما يأتي به الأصمعي أحياناً غريباً عليهم، ولكنه ليس غريباً عليه، لسعة علمه، وعمق جذوره.

أول معرفته بالرشيد:

كان الأصمعي من أهل البصرة وقدم بغداد أيام الرشيد.

"قال محمد بن عبدالرحمن مولى الأنصار:

حدثنا الأصمعي قال:

بعث إليّ الأمين، وهو ولي عهد، فصرت إليه، فقال:

إن الفضل بن الربيع يحدث عن أمير المؤمنين أنه يأمر بحملك إليه على ثلاث دواب من دواب البريد، وكان حينئذ بالرقة. فجهزت وحملت إليه، فلما وصلت الرقة أوصلت إلى الفضل بن الربيع، فقال:

لا تلقـــين أحـــداً ولا تكلمه حتى أوصلك إلى أمير المؤمنين.

وأنزلني منزلاً أقمت فيه يومين أو ثلاثة، ثم استحضرني فقال:

جئني وقـــت المغرب حتى أدخلك على أمـــير المؤمنين، فجئته، فأدخلني على الرشـــيد، وهو جالس منفرد، فسلمت، فاستدناني، وأمرني بالجلوس، فجلست، فقال:

ياعبد الملك وجهت إليك بسبب جاريتين أهديتا إليّ، قد أخذتا طرفاً من الأدب، أحببت أن تختبر ما عندهما، وتشير فيهما بما هو الصواب عندك، ثم قال:

ليُمضَ إلى عاتكة، فيقال لها:

احضري الجاريتين.

فحضرت ومعها جاريتان ما رأيت مثلهما قط، فقلت لأحديهما ما اسمك يا فلانة؟

فقالت: فلانة.

قلت: فما عندك من العلم؟

قالت: ما أمر الله تعالى به في كتابه، ثم ما ننظر فيه من الأشعار والآداب والأخبار.

فسألتها عن حروف من القرآن، فأجابتني كأنها تقرأ الجواب من كتاب. وسألتها عن النحو والعروض والأخبار، فما قصرت.

فقلت: بارك الله تعالى فيك، فيما قصدت في جوابي في كل فن أخذت فيه، فإن كنت تقرضين من الشـــعر فأنشدينا شيئاً.

فاندفعت في هذا الشعر:

ياغياث البـــلاد في كل محل
مـــا يريد العبـــاد إلا رضاكا
لا ومن شرف الإمام وأعلى
ما أطاع الإلـــه عبد عصاكا

فقلت: يـــا أمير المؤمنين: ما رأيت امرأة في مسلك رجل مثلها.

وسألت الأخرى، فوجدتها دونها، إلا أنها إن ووظب عليها لحقتها.

فقال: يا عباســـي فقال الفضل بن

الربيع: لبيك يا أمير المؤمنين.

فقال: ليردا إلى عاتكة، ويقال لها: تُصلح هذه التي وصفها بالكمال لتحمل إليّ الليلة، ثم قال:

ياعبد الملك، أنا ضجر، قد جلست أحب أن أسمع حديثاً انفرج به، فحدثني بشيء.

فقلت: لأي الحديث يقصد أمير المؤمنين؟

فقال: لما شهدت وسمعت من أعاجيب الناس، وطرائف أخبارهم.

فقلت: يا أمير المؤمنين كان صاحب لنا في بدو بني فلان كنت أغشاه، وأتحدث إليه، وقد أتت عليه ست

وتسعون سنة (وهو) أصح الناس ذهناً، وأجودهم أكلاً، وأقواهم بدناً، فغبرت عنه زماناً، ثم قصدته، فوجدته ناحل البدن، كاسف البال، متغير الحال، فقلت له: ما شأنك؟ أأصابتك مصيبة؟

قال: لا.

قلت: فمرض عراك؟

قال: لا.

قلت: فما سبب هذا الذي أراه بك؟

فقال: قصدت بعض القرابة في حي بني فلان، فألفيت عندهم جارية قد لاثت رأسها، وطلت بالورس ما

بين قرنها إلى قدميها، وعليها قميص وقناع مصبوغـــان، وفي عنقها طبل توقيع عليه، وتنشد:

محاســـنها ســـهام المنايـــا
مُريَّشـــة بانـــواع الخطوب
برى ريب الزمان لهن سهما
يصيب بنصله مهج القلوب

فأجبتها:

ففي شفتي في موضع الطبل ترتعي
كما قد أبحت الطبل في جيدك الحسن
هبيني عوداً أجوفا تحت شنّة
تمتع فيما بـــين نحرك والذِّمن
فلمـــا سمعت الشـــعر مني نزعت الطبل ورمت بـــه وجهي، وبادرت

إلى الخباء، فلم أزل واقفاً حتى حميت الشمس على مفرق رأسي، لا تخرج ولا تُرجع إلى جوابا، فقلت:

أنا والله معها كما قال الشاعر:

فوالله يا ســـلمى لطال إقامتي

على غير شيء ياسلمى أراقب

ثم انصرفت ســـخين العين، قرح القلب، فهذا الـــذي ترى من التغير من عشقي لها.

قال: فضحك الرشيد حتى استلقى، وقال:

ويحك ياعبدالملك ابن ست وتسعين سنة يعشق!!

قلـــت: قد كان كذلـــك، يا أمير

المؤمنين.

فقال: يا عباسي.

فقال الفضـــل بن الربيع: لبيك يا أمير المؤمنين.

قـــال: اعط عبدالملـــك مئة ألف درهم، ورده إلى مدينة السلام.

فانصرف فإذا خادم يحمل شـــيئاً ومعه جارية تحمل شيئاً، فقال:

أنا رسول الجارية، التي وصفتها، وهـــذه جاريتها، وهـــي تقرأ عليك السلام، وتقول لك:

أمير المؤمنـــين أمر لي بألف دينار، وهذا نصيبك منها، فإذا المال ألف.

وهي تقول: لن تخليك من المواصلة

بالبر.

فلم تزل تتعهدني بالبر الواسع حتى كانت قينة محمد، فانقطعت أخبارها عني.

وأمر الفضل بـــن الربيع من ماله بعشرة آلاف درهم".

(نزهة الألباء: ص ٩٣-٩٦).

من أدب الخلافة:

هارون الرشـــيد خليفة مثقف، وشـــرب الأدب من كـــؤوس مترعة، ويهتم بالنواحي النفسية التي تضمن له مقامه، وتزيده في أعين الناس ولا تنقصه، ولم يُخفِ هذا، بل أســـر للأصمعي بما في نفســـه من أحد الأمور التي

يرى أن على الأصمعي مراعاتها عند مخاطبته له:

"حكى أبو العباس بن المبرد، قال:

دخل الأصمعي على الرشيد، بعد غيبة كانت منه، فقال له:

يا أصمعي، كيف كنت بعدنا؟

فقال: ما لاقتني بعدك أرض.

فتبسم الرشيد.

فلما خرج الناس قال:

يـــا أصمعي، ما معـــنى قولك: ما لاقتني أرض؟

فقال: ما استقرت بي أرض.

فقال: هذا حسن، ولكن لا ينبغي أن تكلمـــني بين يدي النـــاس إلا بما

أفهمه، فإذا خلوت فعلمني؛ فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالماً، لأنه لا يخلو أما أن أسكت، أو أجيب، فإذا سكت، فيعلم الناس أنني لا أعلم إذا لم أجب، وإذا أجبت بغير الجواب فيعلم الناس من جوابي أني لم أفهم ما قلت.

قال الأصمعي: فعلمني أكثر مما علمته".

(نزهة الألباء: ص ٩٦).

الأصمعي يزيل لبساً:

الكلمات الغريبة في الفصحى ليست غريبة عند علماء اللغة، وثقافة الرشيد تجعله يتلفظ مرة بالغريب، فيربك أم جعفر ويقلقها، ويأتي

الأصمعي فيثبتها، ويريح بالها:

"وحكى المبرد أيضاً قال:

مازح الرشيد أم جعفر، فقال لها:

كيف أصبحت يا أم نهر؟

فاغتمت لذلـــك، ولم تفهم معناه،

فأنفذت إلى الأصمعي تسأله، فقال:

"الجعفر" النهر الصغير، وإنما ذهب

إلى هذا، فطابت نفسها".

(نزهة الألباء: ص ٩٧).

انقطعت الهدية بانقطاعه:

أعتاد أحد مريـــدي الأصمعي أن يهديه هدية، يبدو أنه كان يقدرها، فانقطعت، فلم يسر ذلك الأصمعي:

"ذكر أبو العباس بن المبرد:

أن رجـــلاً كان يألـــف حلقـــة الأصمعي، فإذا صار إلى ضيعته أهدى إلى الأصمعي مما يحمـــل منها. فترك حلقة الأصمعي، وألف حلقة أبي زيد، وكان أبو زيد لا يقبل شيئاً.

قال: فمر الرجل يوماً بالأصمعي، فأنشده الأصمعي للفرزدق:

ولجّ بـــك الهجران حتى كأنما
ترى الموت في البيت الذي كنت تألف"

(نزهة الألباء: ص ٩٧).

معرفته بالخيل:

قليل مـــن الأدباء يعرف أجزاء أجســـام

الخيل، وبعضهم إذا عرف ذلك فنظرياً، أما الأصمعي، فيضع يده علـــى كل بقعة على جلد الفرس ويسميها:

"وقال أبو العيناء:

قال الأصمعي:

دخلت وأبو عبيدة على الفضل بن الربيع، فقال:

يا أصمعي، كم كتابك في الخيل؟

فقلت: جلد.

قال: فسأل أبا عبيدة، فقال: خمسون جلداً.

قال: فأمـــر بإحضـــار الكتابين، وإحضار فرس.

فقال لأبي عبيدة:

إقرأ كتابك حرفـــاً حرفاً، وضع يدك على موضع موضع من الفرس.

فقال أبو عبيدة:

لست بيطاراً، وإنما هذا شيء أخذته وسمعته من العرب.

فقال لي: قم يا أصمعي فضع يدك على موضع موضع من الفرس.

فوثبت، فأخذت بـــأذني الفرس، ووضعت يدي على ناصيته، فجعلت أقول: هذا اســـم كذا، حتى بلغت حافره.

فأمر لي بالفرس. فكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبت الفرس فأتيته".

(نزهة الألباء: ص ٩٧).

صفاء ذهن الأصمعي:

قوة ذاكرة الاصمعي مشهود لها من أهل زمانـــه، وحدة ذكائه مقر لـــه بها، وقيل إنه لذلـــك يحفظ القصيدة من سماعه لها من أول مرة، وهنا قصة تُري من أمر ذكائه عجباً:

"قال ابن بكير النحوي:

لما قدم الحســـن بن سهل العراق أحب أن يجمع بين جماعة من الأدب، فأحضر أبـــا عبيـــدة، والأصمعي، ونصر بن علي الجهضمي، وحضرت معهم.

فابتدأ الحسن فنظر في رقاع كانت بين يديه للنـــاس في حاجاتهم، فوقع عليها، وكانت خمســـين رقعة، ثم أمر

فدفعت إلى الخازن.

ثم أفضنـــا في ذكر الحفظ، فذكرنا جماعة، فالتفت أبو عبيدة، وقال:

ما الغرض، أيهـــا الأمير، في ذكر من مضى ها هنا من يقول: إنه ما قرأ كتاباً قـــط فاحتاج أن يعود فيه، ولا دخل قلبه شيء وخرج عنه.

فالتفت الأصمعي فقال:

إنما يريدني بهذا القول. والأمر في ذلك على ما حكى، وأنا أقرب إليه:

قد نظر الأمير في خمسين رقعة، وأنا أعيد ما فيهـــا، وما وقع به على كل رقعة.

فأحضـــرت الرقـــاع، فقـــال

الأصمعي:

سأل صاحب الرقعة الأولى كذا، واسمه كذا، ووقع له بكذا، والرقعة الثانيـــة، والثالثة، حـــتى مر في نيف وأربعين رقعة.

فالتفت إليه نصر بن علي الجهضمي وقال:

أيها الرجل، أبق على نفسك من العين.

فكف الأصمعي".

(نزهة الألباء: ص ٩٨).

رأي بعض معاصريه فيه:

تـــأتي نتف من هنا وهنـــاك من معاصري

الأصمعي تؤكد تميزه في بعض جوانب الأدب والفكر، ومن ذلك:

"قال الربيع بن سليمان:

سمعت الشـــافعي – رحمه الله تعالى – يقول:

ما عبّر أحد من العرب بأحسن من عبارة الأصمعي".

وروى الرياشي قال:

سمعت عمرو بن مرزوق يقول:

رأيت الأصمعي وسيبويه يتناظران، فقال يونس:

الحق مع سيبويه، وهذا يغلبه بلسانه في الظاهر، يعني الأصمعي".

(نزهة الألباء: ص ٦٩).

تقوى الأصمعي:

من شدة تقوى الأصمعي فإنه لا يجسر على تفسير القرآن، ولا يروي الأحاديث بالطرق التي تلحق به إثماً:

"قال نصر بن علي:

كان الأصمعي يتقي أن يفسر حديث الرسول ﷺ كما يتقي أن يفسر القرآن.

وقال أيضاً:

حضرت الأصمعي، وقد سأله سائل عن معنى قول الرسول ﷺ جاءكم أهل اليمن وهم أبخع أنفساً، ما معنى أبخع؟.

قال: يعني: "أقتل".

ثم أقبل متندماً على نفسه كاللائم لها.

فقلت له:

لا عليك، فقد حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعال: ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ (الكهف: ٦)، أي قاتل نفسك، فكأنه سري عنه".

(نزهة الألباء: ص ٩٩).

ثناء على الأصمعي:

الثناء عليه ممن يعرفونه، ممن يوثق برأيهم وعلمهم، جاء عاماً أحياناً، وأحياناً جاء الثناء عليه في فرع من فروع الدين أو الفكر أو

الثقة فيما يقول.

"قال إبراهيم الحربي:

كان أهل البصرة كلهم أصحاب أهواء إلا أربعة، فإنهم كانوا أصحاب سنة: أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب والأصمعي".

وقال محمد بن إبراهيم:

سمعت الإمام أحمد بن محمد بن حنبل يثني على الأصمعي بالفقه.

قال: وسمعت علي بن المديني يثني عليه.

وقال: سمعت الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يثنيان عليه في السنة".

وروي عن ابن خيشمة قال:
سمعت يحيى بن معين يقول:
الأصمعي ثقة.
وحكي عن الشافعي أنه قال:
ما رأيت بذلك المعسكر أصدق من الأصمعي.
وحكي أنه سئل أبو داود عن الأصمعي فقال: صدوق".

فقده:

ورد في المصادر وقت وفاته، ومن ذلك ما رواه بعضهم:
"قال أبو العباس:
توفي الأصمعي بالبصرة وأنا حاضر

سنة ثلاث عشرة ومئتين.

ويقال: توفي سنة سبع عشرة ومئتين في خلافة المأمون.

ويقال: مات الأصمعي في سنة ستة عشرة ومئتين".

أبيات في رثائه:

هـــذه أبيات ثلاثـــة قالها أحد من شـــعر بفقده:

"وقال محمد بن أبي العتاهية:

لما بلـــغ أبي موت الأصمعي خرج ورثاه فقال:

أسفت لفقد الأصمعي لقد مضى
حميداً له في كل صالحة سهم

تقضت بشاشات المجالس بعده
وودعناه إذ ودع الأنس والعلم
وقد كان نجم العلم فينا حياته
فلما انقضت أيامه أفل النجم
(نزهة الألباء: ص ١٠٠).

عامر الشعبي

أبو عمرو عامر بن شـــراحيل بن عيد بن ذي كبار، وذو كبـــار قيلٌ من أقيال اليمن. والشـــعبي من حمير، وعداده في همدان، وهو كوفي تابعي، جليل القدر، وافر العلم. وهو أحد علماء اللغة والأدب والتاريخ، واتصف بصفات حرص الكتـــاب أن يأتوا بها ضافية وافية، وجاءت مبعثرة في كتب الأدب.

وما روي عنه اتســـم بسمات جعلت من يقرأ النص يجزم أحياناً أنه له، لأن روح المرح فيما يأتي عنه واضحة.

كانت ولادته لست سنين خلت من خلافة عثمان رضـــي الله عنه، وكانت وفاته فجأة،

وكانت أمه من ســـبي جلولاء. وكلمة شعبي نسبة إلى شعب، وهو بطن من همدان.

إقرار بالخطأ:

روى صاحب "مجالس العلماء" لأبي القاسم عبدالرحمن الزجاجي (ص: ٢٠٨) أن الشعبي قال:

"دخلت على عبدالملك بن مروان، فصادفته في سرار مع بعض من يقرب منـــه، فوقفت ســـاعة[١] لا يرفع إليّ طرفه.

فقلت:

يا أمير المؤمنين، عامر الشعبي.

---

(١) ساعة لا تعني الساعة التي نعرفها، وإنما تعني بعض الوقت.

فقـــال: لم نأذن لك حـــتى عرفنا اسمك.

فقلـــت: نقـــدة والله مـــن أمير المؤمنين.

فلما فرغ مما كان فيه، وأقبل على الناس، رأيـــت في المجلس رجلاً ذا رُواءٍ وهيئة، لم أعرفه. فقلت:

من هذا يا أمير المؤمنين؟

قال: الخلفاء تسأل ولا تُسأل. هذا الأخطل الشاعر.

قلت في نفسي: هذه أخرى.

قال: وخضنا في الحديث، فمرّ له شيء لم أعرفه، فقلت:

اكتبنيه، يا أمير المؤمنين.

فقال: الخلفـــاء تَسْـــتَكْتِب ولا تُستَكْتَب.

فقلت: هذه ثالثة.

وذهبت لأقوم، فأشار إليّ بالقعود، فقعدت حتى خفّ مـــن كان عنده، ثم دعا بالطعام، فقُدّمت إليه المائدة، فرأيت عليها صَحْفَة فيها مخ، وكذا كانت عادتـــه أن يقدم إليه المخ قبل كل شيء.

فقلت: هذا يـــا أمير المؤمنين كما قال الله جل وعز: "وجفان كالجواب وقدور راســـيات" (ســـورة سبأ آية ١٣).

فقـــال: يا شـــعبي، مازحت من لم

يمازحك.

فقلت: هذه والله رابعة.

فلما فرغ من الطعـــام، وقعد في مجلسه واندفعنا في الحديث، وذهبت لأتكلم، فمـــا ابتدأت بشـــيء من الحديث إلا استلبه مني فحدّث الناس به، وربما زاد فيه على ما عندي، ولا أنشـــدته شـــعراً إلا فعل مثل ذلك. فغمني ذلك، وانكسر بالي له.

فمازلنا على ذلك بقية نهارنا. فلما كان آخر وقتنا التفت إليّ، فقال:

يا شعبي، قد، والله، تبيّنت الكراهة في وجهك لِما فعلـــُت، وتدري أي شيء حملني على ذلك؟

قلت: لا، يا أمير المؤمنين.

قال: لئلا تقول:

لئن فازوا بالملك أولاً، لقد فزنا نحن بالعلم، فـــأردت أن أعرّفك أنّا فزنا بالملك، وشاركناك فيما أنت فيه.

ثم أمر لي بمال.

فقمت من عنده، وقد زللت أربع زلات".

يخرج القارئ من هذه الموعظة الحية بعدة أمور:

أولها: لم تكن نية الشـــعبي حسنة، وكان يريد أن يرتقي سلماً لم يهيأ له، وقد اكتشف عبدالملك أن ما يقوله الشـــعبي إنما هو محاولة لرفع نفســـه في هذا المجلـــس الحافل، فأدبه

عبدالملك الأدب اللائق.

والنية مطية توصل صاحبها إلى الهدف إذا كانت حسنة، وتهوي به إلى قاع سحيق إذا لم تكن حسنة.

ثانياً: الخليفة عبدالملك رجل عالمٍ فقيه جاء إلى الخلافة من حلقات الحرم المكي، حيث رشف من رحيق العلم ما جعل مجلسه مجلس علم، وتصرفه مع الناس تصرفاً علميّاً، وعلمه جلب له النباهة واليقظة، والحدس فيما يدور في الأذهان مما يُخفّى.

ثالثاً: مجالس الخلفاء والملوك لها آداب يجب أن تراعى، ويظهر المرء فيها مظهر الضيف الأريب، الذي يعرف متى يتكلم ومتى يصمت ويستمع لما يقال، ويركز على

تصرف غيره، ومدى قبول ما يقال، وكيف كان مجرى الحديث.

رابعاً: كما قال بعض الخلفاء لمن وقف موقفاً مثل موقف الأصمعي؛ فإعطاء الدروس أمثال هذا يتكرر.

تربية الصحراء:

يتناقل عقلاء العرب الحكمة، ويورثونها من تحت تربيتهم، فيشبوا على نصائح آبائهم، فيعضون عليها بالنواجذ، فتبقى أمامهم في كل موقف يمر عليهم مما يقتضى تذكرها.

وهذه الحكم تأتي بصورة وصايا يورثها السابق للاحق، وتبقى إشعاعاً مضيئاً في الأسرة والمحيط حولها. وهي نتيجة تبصر

وتفكير في التجارب التي يمر بها هؤلاء الأفراد اليقظون.

والصحراء محيط مواف لمثل هذه البصائر، والأقوال السديدة، والأفعال الصائبة، لأن عندهم من الوقت وصفاء الذهن، ووحي المحيط الذي هم فيه، ما يجعل هذا الأمر متوفراً لهم، ومتوقعاً منهم، وهذه قصة رواها الشعبي عن أحد هؤلاء الحكماء، وهي قصة مضيئة ونيّرة، متقنة.

وتجري هكذا:

روى الهيثم بن عدي عن عامر الشعبي، وأورده صاحب العقد الفريد (٢/٣٢٩):

"دخل الأحنف بن قيس على معاوية، فأشار إلى وسادة، فلم يجلس

عليها الأحنف.

فقال له معاوية: ما منعك يا أحنف أن تجلس على الوسادة؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إن فيما أوصى به قيس بن عاصم ولده أن قال:

لا تسع للسلطان حتى يحثك، ولا تقطعه حتى ينساك، ولا تجلس له على فراش ولا وسادة، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين".

تقسيم العلم:

الشعبي عندما يتكلم في بعض الأمور العقلية فإنه يأتي بما يقنع ويعجب، وفي النص

التالي دليل على هذا، فلو أردت أن تزيد على أقسام العلم التي عددها الشعبي أو تنقص منها ما استطعت، وهذا دليل على إتقانه لتعريف العلم. (أدب الدنيا والدين ص ٨٤).

وهذا هو تعريفه للعلم:

"العلم ثلاثة أشـــبار، فمن نال منه شبراً شمخ أنفه، وظن أنه ناله.

ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه، وعلم أنه لم ينله.

وأما الشـــبر الثالث فهيهات، لا يناله أحد أبداً".

أين يجلس الإنسان؟

عامر الشعبي جرب الحياة، وعرف كيف

يسير مع ما يلائم ما يقبل وما لا يقبل، وهو لا يبخل بنشر تجاربه، ليستفيد منها من سمعها من أفراد مجتمعه.

وجلـــوس القادم في المكان المناســـب قد تكون معضلة لبعض النـــاس، لأن للداخل على المجلس دهشة، قد تأخذ ثواني أو دقائق قبل أن يختار المكان المناســـب له، ولهذا قيل فيما قبل:

اجلـــس حيث ينتهي بـــك المجلس حتى لو كنت من عليـــة القوم فلا يجوز في عرف الأنصاف أن تتخطاهم إلى مقعد متقدم تفادى الجلوس عليه، أو فيه، من سبقك.

وقيـــل في هذا كثير، ومـــن ذلك أن أحد كبار القوم، لثقته بنفسه، وما ملأ برديه من

المجـــد، وعلم بأن المكان لا يقدم ولا يؤخر، جلس في أقرب مكان قرب مدخل المجلس، قيـــل له: تقدم إلى صـــدر المجلس، فرد بأن قال: صدر المجلس حيث أجلس.

وللشـــعبي قول في هذا، فدعونا نطل على ركن من أركان تفكيره:

جاء في محاضرات الأدباء (٢٣٣)، وكتاب بهجة المجالس ص ٤٧) ما يلي:

"لأن أدعى من بعيد أحب إليّ من أدفع من قريب".

الخلال الثلاث:

الشعبي لعلمه، ولحســـن تقييمه للأمور، وهو العالم الفقيه الأديب الكفيّ، وهو مرب

ذو نظرة ثاقبة، مقدرة من مجتمعه، لها وزنها، فهـــو قاض، مدرس بالنســـبة لمجتمعه، رأى بريق حكمة صادقة من جميع جوانبها الثلاثة، فراهن على صحتها.

وهذه هـــي القصة، وقد وردت في كتاب "سراج الملوك" (ص ٣٦١):

"قال عبدالله بن عباس:

قال لي أبي:

يا بني، أرى أمير المؤمنين يستحليك، ويستشـــيرك، ويقدمك على الأكابر من أصحاب محمـــد – عليه الصلاة والســـلام – وإني أوصيـــك بخلال ثلاث:

لا تفشين له سراً.

ولا يجرّبّن عليك كذباً.
ولا تغتابنّ عنده أحداً.
قال الشعبي: قلت لابن عباس:
كل واحدة خير من ألف.
قال: أي والله، ومن عشرة آلاف".

الشعبي يسخر:

روح الشعبي المرحة لا تغيب كثيراً عنه، فهو يعود إليها عندما توافيه الفرصة، ومثل كثير من المستفتين من العلماء يمر عليهم استفتاءات تدعو إلى الضحك، والشعبي لا يترك أمراً مثل هذا يمر دون أن يرخي عليه سوط سخريته، وهذه إحدى قصصه في هذا

المجال:

"روى الشعبي حديث النبي – صلى الله عليه وسلم –:

"تسـحّروا ولو بأن يضع أحدكم أصبعـه على التـراب ثم يضعها في فمه".

فقال رجل: أي الأصابع؟

فتناول الشعبي إبهام رجله وقال: هذه".

(المراح في المزاح: ص ٣٤٠).

ومثل هـذه الفتاوي هي التي جعلت مثل هذه القصص تروى وتخلّد.

أيكما الشعبي؟

ومثل الموقف السابق يُهدى للشعبي موقف مماثل، يبدع الشعبي فيه إجابة خُلِّدت لطرافتها، ومناسبة الجواب للسؤال؛ يأتي الأمر مبهجاً مضحكاً. وهذه القصة:

"يروى أن خياطاً مرّ بالشعبي، وهو مع امرأة في المسجد، فقال:

أيكما الشعبي؟

فقال، مشيراً إليها: هذه!".

(المراح في المزاح: ص ٣٤١).

المسح على اللحية:

الشعبي موفق في بعض المستفتين السذّج، وعلمه وتجربته، وخبرته تساعده على الردود

البهجة، التي لومها، إن كان هناك لوم، تقع على السائل لا على المجيب:

"يقال: إن رجلاً سأل الشعبي عن المسح على اللحية.

فقال: خللها بأصابعك.

فقال: أخاف ألا تبلّها.

قال الشعبي: إن خفت فانقعها من أول الليل".

(المراح في المزاح: ص ٣٤٠).

لقد ظن الشعبي خيراً في أول الأمر، فلما كشف السائل عن عقله في السؤال التالي جاءته الصاعقة من الشعبي.

حك البدن للمحرم:

لعل الشـــعبي تعوّد على مثل هذه الأسئلة الساذجة، فكانت بديهته المرحه تساعده على ســـرعة الرد ببداهة معجبة، والقصة الآتية، كان السؤال فيها مفصل تفصيلاً دقيقاً ليحرك بديهة الشعبي:

"سأل الشعبيَّ سائل:

هل يجوز للمحرم أن يحك بدنه؟

قال: نعم.

قال: مقداركم؟

قال: حتى يبدو العظم".

فصاحة الشعبي:

هناك موقف للشعبي استفاد فيه من علمه

وطلاقة لسانه، وجاء له ومن معه بخير عميم. وكان هـــذا الموقف مع الحَجّاج الحازم الذي إذا توعد أدرك.

وكان الشعبي قد خرج مع ابن الأشعث، وقد أحضر الشعبي بين يدي الحجاج، فسلّم على الحجاج بالإمرة، ثم قال:

"أيها الأمـــير إن الناس قد أمروني أن أعتـــذر إليك لغير ما يعلم الله أنه الحق؛ وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقا.

قد والله خرجنا عليك، وجهدنا كل الجهد، فما كنا بالفجرة الأقوياء، ولا البررة الأتقياء وقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا، فإن ســـطوت فبذنوبنا،

وما جرَّت إليـــه أيدينا، وإن عفوت عنا فبحلمك؛ وبعد:

فالحجة لك علينا.

فقال الحجاج:

أنت والله أحب إليّ ممن يدخل عليّ يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول:

ما فعلت وما شهدت.

قـــد أمنـــت عندنـــا يا شـــعبي، فانصرف".

(وفيات الأعيان. المجلد (٣) ص: ١٤).

(أنظر كذلـــك ما قاله صاحـــب المنتقى ص ١٧١ مما يؤدي المعنى نفســـه مع بعض الاختلاف):

"واكتحلنا الســـهر، واستحلسنا (أجلسنا في بيوتنا) الخوف، وأصابتنا خزيـــة، لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء.

قال الحجاج: لله أبوك؟".

إن الحجـــاج يكفيه مـــن الخارجين على الدولة، أو المناوئين لها، أقل من هذا لأن فيه ما يؤكد خطأ العصاة، وتسليمهم للسلطة، معفينها من سفك دم يمكن صيانته. ولهذا لم يكتف الحجاج بعدم العقـــاب بل زاد عليه إعجابه، لأن فيه رائحة العذر المقبول، وهو جور الزمان، وهو مـــا أحوجهم إلى أن تندّ ناقتهم عن الطريق.

ومواقف الحجاج في مثل هذا كثيرة.

هتك الستر:

سرعة البديهة، وصواب الرد، والجزاء من جنس العمل، وهو ما بدر من الشعبي، وقد دخل الحمام، والقول وارد في كتاب "البصائر والذخائر" (ص ٢/١٨٤، والكشكول: ٢/٤١٠):

"دخل الشعبي الحمام، فرأى رجلاً مكشوف العورة، فغمّض عينيه.

فقال له الرجل، يهزأ به:

متى كفّ بصرك، يا شيخ؟

قال: منذ هتك الله سترك".

الثقة بالنفس:

الشعبي واثق من نفسه، أمين على علمه، ذو

إرادة قوية، وشجاعة علمية لا يهزها شيء، وقد بنى علمه على أســـس، جعل الدين لها أســـاس تصرفه في الحياة. لم ينظر عندما سئل عن أمر إلى سمعته، أو ما قد يقوله الناس، بل نظر إلى الله ورضاه، ونفســـه وتوفيق الله لها. وهذه قصة تبين ذلك:

"سئل الشعبي عن مسألة فقال:

لا أدري.

فقيل ألا تستحي من قولك هذا، وأنت فقيه العراقين؟

فقال إن الملائكة لم تستح إذ قالت:

"ســـبحانك لا علـــم لنـــا إلا ما علمتنا".

(محاضرات الأدباء: ٢١).

إن كنت صادقاً:

والنـــور الذي يملأ صدر الشـــعبي، وهو حامـــل القرآن الكـــريم وعلومه في صدره، وعلوم الســـنة، يُعلِّم الناس كيف يتصرفون مع النـــزقين، ويؤكـــد أن دحضهم هو في الصبر عليهم، والتغاضي عن سفههم. وهذا هو يضرب مثلاً في القصة التالية:

"سمع الشعبي شتم رجل آخر له، فلم يرد عليه، وما زاد أن قال: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك".

(العقد الفريد: ٢/٢٧٦).

إنه حكم ناضج من قاض عادل، رحم الله الشعبي.

رسول إلى ملك الروم:

"حكى الشعبي قال:

أنفذني عبدالملك بـــن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبته.

وكانت الرســـل لا تطيل الإقامة عنده، فحبســـني أيامـــاً كثيرة حتى اســـتحششت خروجـــي، فلما أردت الانصراف قال لي:

من أهل بيت المملكة أنت؟

فقلت: لا، ولكني رجل من العرب في الجملة.

فهمس بشـــيء، فدفعت إليّ رقعة وقال لي:

إذا أديت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة.

قال: فأديت الرسائل عند وصولي إلى عبدالملك، وأنسيت الرقعة، فلما صرت في بعض الدار أريد الخروج تذكرتها، فرجعت فأوصلتها إليه، فلما قرأها قال لي:

أقال لك شيئاً قبل أن يرفعها إليك؟

قلت: نعم، قال لي:

من أهل بيت المملكة أنت؟

قلت لا، ولكني من العرب في الجملة.

ثم خرجت من عنده (عبدالملك)،

فلما بلغت الباب رددت. ثم مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة؟

قلت: لا.

قال: اقرأها.

فقرأتها، فإذا فيها:

عجبـــت من قوم فيهـــم مثل هذا كيف يملِّكون غيره.

فقلت له:

والله لو علمت ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم يرك.

قال: أفتدري لِمَ كتبها؟

قلت: لا.

قال: حســـدني عليك، وأراد أن يغريني بقتلك.

قال: فتأدى ذلك إلى ملك الروم؛
فقال:
ما أردت إلا ما قال".
(وفيات الأعيان، المجلد الثالث: ص ١٣).

درس للشعبي:

إن العلم وتملؤه، وتسقّيه، لا يقتصر على حلقات العلمـــاء، وتلقينهم طلابهم علمهم، وإرشادهم، ولكنه قد يأتي من عالم من علماء الحياة، لم يخطر علـــى البال؛ إن المعلم الذي أمامنا خليفة، ونظر إلى الشـــعبي كأنه طالب علـــم عنده يعلمه أصول التصرف الحســـن مع الخلفاء، فجاء عبدالملك للشـــعبي جامعاً مانعـــاً؛ عصارة فكر نيّر، وعقل محلل؛ وهذا

هو الدرس النير؛ سراج في طريق الحياة:

"لما حُمل الشـــعبي إلى عبدالملك، ونادمه قال له:

يا شـــعبي، لا تساعدني على قبح، ولا ترد عليّ الخطأ في مجلســـي، ولا تكلفـــني جواب التشـــميت[1]، ولا جواب السؤال والتعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمســـى، واجعـــل بدل التعريـــض لي صواب الاســـتماع مني. واعلم أن صواب الاســـتماع أولى من صواب القول. وإذا سمعتني أتحدث فـــلا يفتك منه

---

(١) التشميت هو أن يقول السامع للعاطس "يرحمك الله"، إذا عطس العاطس وقال الحمدلله، رد العاطس: يهدينا ويهديك الله".

شـــيء؛ وارعني فهمك وسمعك، ولا تجهد نفســـك في نظرية سواي، ولا تســـتدع بذلك الزيادة من كلامي، فإن أسوأ الناس حالاً من شكر الملوك بالباطل، وأسوأ حالاً منه من استخف بحقهم. واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بســـالف الإحسان، ويُسقط حق الحرمة، وأن الصمت في موضعه وعند إصابته فرصة".

(وفيات الأعيان، المجلد "٣" ص: ١٣-١٤).

الدرس الثاني:

أما وقد تلقى الشعبي الدرس الأول الوافي

من الخليفة قمة السلطة، فإنه يتلقى درساً آخر وافياً مختصراً من أعرابي، وكلا الدرسين مليء بالدرر:

"كان أعرابي يجالس الشعبي، ويطيل السكوت، فقال له الشعبي:

ألا تتكلم؟

فقال: أسكت فأسلم، وأسمع فأعلم؛ إن حظ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره".

(وفيات الأعيان، المجلد "٣" ص: ١٤).

فتوى:

مقام الشعبي، في العلم، جعله يُقصد للفتوى، يستنير المستفتي بجوابه إلى الطريق

المنجي، ولكن الشعبي لا يفتي بعبارات ساذجة بل يحمّل فتواه بأكثر مما توقع المستفتي:

"سئل الشـــعبي عن الرجل يعسر عن الأضحية، ولا يجد ما يشـــتري، فقال:

"لأن أتركها وأنا موسر أحبّ إليَّ من أن أتكلفها وأنا معسر".

حسن منطق:

إذا كان حسن منطق الشعبي أمام الحجاج جـــاء له ومن معه بالعفـــو فقد أفاد ذلك في موقف مماثل:

"كلم الشـــعبي عمر بـــن هبيرة الفـــزاري، أمير العراقـــين، في قوم

حبسهم، ليطلقهم، فأبى.

فقال له:

أيها الأمير، إن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم، وإن حبستهم بالحق فالعفو يسعهم.

فأطلقهم".

(وفيات الأعيان، المجلد "٣" ص: ١٥).

مع اللغة:

لا يكفي أن تكون ضليعاً في النحو، جيداً في تطبيقه، فهناك جوانب فيه تحتاج إلى عقل. والحادثة الآتية منها:

"يقال إن الحجاج بن يوسف الثقفي قال له يوماً:

كم عطاءَك في السنة؟

فقال: ألفين.

فقال: ويحك، كم عطاؤك؟

فقال: ألفان.

قال: كيف لحنت أولاً؟

قال: لحن الأمير فلحنت، فلما أعرب أعربتُ، وما أمكـــن أن يلحن الأمير وأعرب أنا.

فاستحسن ذلك منه، وأجازه".

(وفيات الأعيان، المجلد "٣" ص: ١٥).

عمق فكري:

الشـــعبي عالم، يختار الصادق من الأقوال، والمعقول من الأعمال، ويميز مثلاً بين موقف

حلم هزيـــل، وموقف حلـــم جليل، وعفو ضعيف وعفو جليل ولهذا يقال إنه كثيراً ما يردد البيت الآتي:

ليست الأحلام في حال الرضى
إنما الأحلام في وقت الغضب

(وفيات الأعيان، المجلد "٣" ص: ١٦).

قول لمعاوية:

يبسط معاوية أمامنا رأيه في الرجال الذين يمكـــن أن يُطمأن إلى نجاحهـــم في أعمالهم، فيكشـــف عن جانب من سياسته في اختيار الرجال. إنه يهتم باختيـــار ذي الكفاية، لا القريب ولا ذي الرحم، ولهذا نجح، وهو أمير في منطقة مهمة على حدود أعداء شرســـين،

وعندما تولى خلافة المسلمين. وهذه قواعده للاختيار الحسن:

"أخبرنـــا أحمد بن محمد بن الفضل الأهوازي قال:

حدثنا عبدالعزيز بن محمد الشافعي قال:

حدثنا اســـحاق بن إبراهيم، عن الهيثم بـــن عدي، عن ابن غياث عن الشعبي قال:

قال معاوية:

عشـــرة أعمـــال لا يعملهـــا إلا الشريف، المُســـنّ، العاقل، الذي قد عضّ على ناجذه:

الثغر، والمنبر، والصائفة، والموسم،

والشُـــرَط، وبيت المال، والسقاية، ودار الرزق، والقضاء، والعشور.
(المصون في الأدبي للعسكري: ص ١٦٨).

الشعبي يُستثار:

سلاح الشعبي لسانه، ولسانه متكئ على وسادة أدب مكتمل الجوانب، به يدافع، وبه يهاجم، وهذا موقف انقض فيه الشعبي على خصم ضعيف:

"أخبرنا الجوهري قال:

أخبرنا عمر بن شبّة عن أبي عاصم قال:

كان الشعبي إذا تحدث بحديث نمّقه وحسّـــنه. وكان له جليس يقال له

خُنيس (أو حُنيش)، فقال له يوماً:

يا أبا عمرو، اتق الله ولا تكذب.

فقال له الشعبي:

ما أحوجك إلى مُحَملَج[1] شديد الفتل، ليّن المهزّ، وافر الثمرة[2]، يؤخذ من عجب بعير إلى مغرز عنقه، فيوضع منك على مثل ذلك، فيكثر منه رقصانك لغير جذل.

فقال: إي بأبي، وما هذا؟

قال: شيء لي فيه أرب، ولك فيه أدب".

(المصون في الأدب، للعسكري: ص ١٧٨).

---

(١) يقصد سوطاً.

(٢) أي عقد أطراف السوط.

ما وراء الهدية:

الهدية وجدت لأسباب تدعو إليها، وهي حبل وصل إخوة، أو اعتـــراف بمعروف، أو مظهر حنان وألفة، وأمثال ذلك من الجوانب المضيئة في هـــذه الأمور، ولكنها قد تخفق إذا ســـاءت النية فيها، وجاءت لأمور متدنية، لتكون لصالح الشخص المهدي، بطريقة واطية ومبتذلة.

وهذا الشعبي يعطينا مثلاً لذلك.

"عن الشعبي أن رجلاً، كان يهدي إلى عمر بـــن الخطاب كل عام رجل جزور، خاصم إليه يوماً، فقال:

يا أمير المؤمنين، إقض بيننا قضاءاً فصلاً، كما تفصل الرِّجل من ســـائر الجزور.

فقضـــى عمر عليـــه، وكتب إلى عماله:

"ألا إن الهدايا هي الرشا، فلا تقبلن من أحد هدية".

(أخبار القضاة: ١/٥٦، الأشراف: ٢٥٤، ٢٩٥).

(ويقال: إن الذي أهدى هدية رِجل الجزور امرأة من قريش. وذكر ذلك ابن قَتيبة، عيون الأخبار ١/١١٤، البصائر: ٦/١٣٩).

سؤال وجواب:

يبدو أن الأســـئلة الساذجة تأتي من أناس مستواهم الفكري متدن تلقى على كثير من العلماء، ولكن ما يـــدون منها إلا الذي في

جوابه طرافة، وعـــرف عن هذا المفتي روح الفكاهة والمرح، مثل الشعبي.

وهنا مثلان لسؤالين ألقيا بهذه الصفة:

"سأل رجل الشعبي عن أكل لحم الذئاب.

فقال: إن اشتهيت فكله.

وسئل سؤالاً آخر، عن أكل لحم الشيطان.

فقال: ويحك، ويدعك الشـــيطان تأكل لحمه؟! إرض بالكفاف!".

(البصائر: ٧/١٠٨).

البيضة والصخرة:

الشـــعبي بعلمه وتجربته وفراســـته يعرف

مرامي الأقوال خاصة إذا جاءت من شخص عالي المقام، ولهذا لم يستطع الحجاج جرّه إلى حفرة كان أعدها له.

"دخل الشعبي على الحجاج فقال له الحجاج:

يا عامر، أدب وافر، وعقل نافر.

فقال: صدقت أيها الأمير، العقل سـنخ، والأدب تكلف، ولولا أنتم معشر الملوك ما تأدبنا.

قال: فالمنّة لنا في ذلك دونكم.

قال: صدقت أيها الأمير".

(البصائر ٢/١٧٧).

ولعل الشعبي يسير على ما قاله ابن القرّية، فقد قال الحجاج لابن القرّية:

"ما الأدب؟

قال:

تجـــرع الغُصّـــة حـــتى تُمكـــن الفرصة".

(بهجة المجالس: ١/١١٠).

أجل، لقد تجرع الشعبي الغُصة.

عدل عمر:

النور الذي كان يشع من حكم أحد أسسه العدل، ومن العدل تأتي الخيرات، وهذه شهادة عن عدل عمر، جاءت من "الهرمزان":

"قال الشعبي:

كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج.

ولما جيء بالهرمزان، ملك خوزستان أسيراً إلى عمر، لم يزل الموكل به يقتفي أثر عمر، حتى عثر عليه بالمسجد نائماً، متوسداً درّته، فلما رآه الهرمزان قال:

هذا والله الملك الهني، عدلت، فأمنت، فنمت. والله إني خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة، أصحاب التيجان، فما هبت أحداً منهم هيبتي لصاحب هذه الدرة".

(ربيع الأبرار: ٣/١٨٨).

خطوات للقضاء:

سير الشعبي خلف أخبار عمر، دليل إعجاب

به، واقتناص بعض ما يرى فيه الشعبي تميزاً.

"قال الشعبي:

لمـــا بعث عمر – رضي الله عنه – شريحاً على قضاء الكوفة، قال له:

ما تبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع سنة رسول الله، وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد رأيك".

(البصائر: ٦/٣٣).

لا أدري:

الشـــعبي واثق من نفسه، لا يغطي عجزه بالتصنع، أو الاختـــلاق، وهو عالم كثيراً ما يتعرض للأسئلة مما يتطلع إلى الاستفادة منه،

ونرى من النـــص التالي أنه قال بملء فيه: لا أدري، ثم برّر، بأن جوابه مما لا يُستحى منه، رغم علمه:

"سئل الشعبي عن مسألة:

فقال: لا علم لي بها.

فقالوا: ألا تستحيي؟

فقال: ولِمَ أستحيي بما لم يستحيي منـــه الملائكة حين قالـــت: "لا علم لنا".

(سورة البقرة، آية ٣٢).

(البصائر: ٤/١٨٤).

الشعبي وصاحب الحجامة:

يتعرض العلماء في حلقاتهم، وأحياناً أثناء

سـيرهم، أو في مجالس اجتماعاتهم إلى بعض المستفتين السذّج، فيثير السؤال منهم جواباً تقتضيه طبيعة العالم الفكه:

"كان الشعبي يوماً جالساً في مجلسه، والناس يتناظرون في الفقه عنده، ومعه شيخ يطيل السكوت، فقيل له يوماً:

لو سألت عن مسألة تنتفع بها.

فقال: إني لأجد في قفاي حِكّة؛ أفترى لي أن أحتجم؟!

فقال الشعبي:

الحمدلله الذي صرنا من الفقه إلى الحجامة".

(بهجة المجالس: ٢/٥٦١).

الرجوع إلى الحق:

لم يستح الشـــعبي أن يقول، حين استفتي، لا أدري، بل قالها بكل ثقة، وبرهن أنه على حق، وفي القصة التالية يؤكد ثقته بنفسه وأنه لا يضيره أن يرجع للحق إذا تبين له:

"قال ابن شبرمة:

كنت عند الشـــعبي، فقضى بين اثنين؛ فبصّرته بعد، فرجع إلى قولي".

(الإشراف في منازل الأشراف: ١٤٧).

دعاء ملكي:

الخليفة عبدالملك بن مروان قبل أن يصبح خليفة كان منقطعاً لدراسة الفقة في المسجد الحرام، ولوســـائل الثقافـــة حينئذ من علم

بـــالأدب والتاريخ، ولا غرو أن يدعو دعاءاً يدهش الشعبي:

"قال الشعبي:

حسدتُ عبدالملك على كلمة تكلم بها، وهي:

اللهم إن ذنوبي كثرت، فجلّت عن الصفة، اللهم وإنها لصغيرة في جنب عفوك فاعف عني".

(ربيع الأبرار: ٢/٢١٨).

الغضب كالنار:

تعود الشعبي على تحليل الأمور، والتبصر في ظاهرها لمعرفة باطنها، مما يجعل رأيه صائباً في رؤية الأمور، وهذا رأيه في سرعة الغضب

وســـرعة انطفائه، وبطء الغضـــب وتأخر التخلص منه.

"قيل للشعبي:

لِأي شيء يكون السريعُ الغضب سريع الفيئة، ويكون بطيء الغضب بطيء الفيئة؟

قال: لأن الغضب كالنار، فأسرعها وقوداً أسرعها خموداً".

سياسة في التربية:

الشـــعبي عالم ومرب، ويليق بتعليم أبناء الخلفاء، وقد اختير من خليفة عالم قد رسم في ذهنـــه خطة متقنة عن الطريقة التي يعلم فيها أبناء الخلفاء، وبها يؤدبون. وهو توجيه واف

ضاف؛ وجه عبدالملك الشعبي بأن قال له:

"علِّمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنِّبهم السفلَة، فإنهم أسوأ الناس رِعَة، وأقَلّهم أدباً، وجنّبهم الحشم، فإنهم لهم مفسدة، واحفِ شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم يقووا، علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، ومرهم أن يستاكو عَرْضاً، ويمصوا الماء مصّاً، ولا يعبّوه عبّاً. وإذا احتجت إليّ أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في ستر، لا يعلم به أحد من الحاشية، فيهونوا عليه".

(عيون الأخبار ١٨٢/٢، ربيع الأبرار: ٢٤/١).

دعاء عليه ودعاء منه:

الشـــعبي، كما رأينا صاحـــب طرائف، والطرائف يُحرص على تدوينها، لِما فيها من بهجة وأنس، وهـــذا موقف منها يري كيف قابله الشعبي.

"قال الشعبي:

مرضتُ، فلقيت ابن الحُرّ، فأمرني أن أمشي، كل يوم، إلى الثويّة، فكنت أغدو، كل يوم إليها؛ فانصرفت ذات يوم، فلما كنت في جهينة الظاهرة إذا شيخ منهم قاعد على طنفسة، متكئ على وســـادة، فســـلّمت، ثم ألقيت نفسي على الرمل.

فقال: لقد جلســـت جلسة عاجز

أو ضعيف.

قلت: قد جمعتهما.

قال: أدام الله لك ذلك!

ثم قـــال: إن أهلي كانوا يتخوفون عليّ ثلاثاً:

نقصـــان البصر، وترك النســـاء، والقطاف في المشي. فوالله إنهم ليرون الشخص واحداً، وأراه اثنين، ولقد تركت النساء، فمالي فيهن من حاجة، وأني لأمشي فأهملج.

قلت: أدام الله لك ذلك".

(عيون الأخبار: ١/٧١).

لقد أخذ الشعبي بثأره وافياً، ورد الضربة بسيف الرجل، والبادي أظلم.

الشعبي وعمق التفكير:

يقتضي الموقف أحياناً أن ينسى الشعبي مواقف الطرافة التي عرف أنه من أبطالها، وهذا موقف جاد، استدعى التفكير، وإثارة ملاحظة، رد عليها:

"قال عطاء بن السائب:

قدمت من مكة، فلقيني الشعبي، فقال:

يا أبا زيد، أطرفنا مما سمعت.

قلت: سمعت عبدالرحمن بن عبدالله ابن سابط، يقول:

لا يسكن مكة سافك دم، ولا آكل ربا، ولا مشّاء بنميم.

فعجبت منه حين عدل النّميمة

بسفك الدماء، وأكل الربا.

فقال الشـــعبي، وما يعجبك من هذا، وهل تسفك الدماء، وترتكب العظائم إلا بالنّميمة!".

(عيون الأخبار: ٢/٢٥).

خطأ متكرر:

"دخل الشعبي على عبدالملك بن مروان أولِ دخلة، فلما أخذ في الكلام كنّى رجلاً، فقال عبدالملك:

أخطـــأت، الملـــوك لا يكنى أحد بحضرتهم.

وجرى الحديث فقال:

اكتبنيه يا أمير المؤمنين.

فقـــال: أخطـــأت، الملـــوك لا يُستكتبون.

واستفهمه كلاماً، فقال:

ولا يستفهمون.

ثم استعاده، فقال:

ولا يستعادون.

فخـــرج من مجلســـه يجـــر ذيل الخجل".

(آداب الملوك: ٢٣٠).

تفسير أحلام:

الخيـــال يلعب دوراً كبيراً في حياة الناس، يأتونـــه من جوانب متعـــددة، ليكون ما فيه تسلية أو موعظة، أو درساً في العلم، والقصة

الآتية، الطريفة، المسلّية، الشادّة قصة رمزية، لم تحـــدث، ولكنها متقنة الخطوات، واضحة المعالم، مبتكرة، لها نَفَـــس طويل، لعله أحد جواذب تدوينها، أُتي بها للتسلية؛ لأن راويها صاحبنا الشعبي:

"روى الشـــعبي، وغيره، أن ملكاً من الملوك، في الزمـــن الأول، رأى رؤيا ونسيها، فقال لوزرائه:

رأيت رؤيا، فنسيتها، فما هي؟

قالوا: لا علم لنا بالرؤيا.

فقال: على ماذا أُعِدّكم؟

قالوا: فأجِّلنا.

قال: قد أجّلتكم.

فبينما هم يـــدورون إذا امرأة قد

خاصمت زوجها، فقالت:

ما تطلبون؟

قال: فأخبروها.

فقالت: زوجي أعلم الناس بالرؤيا، وهو لا يخبركم بما حتى توهقوه (أي توثقوه برباط).

قال: فأخذوه.

فقالوا له: إن الملك رأى رؤيا، ثم نسيها، فما هي؟

فقال: ما عبّـــرت رؤيا قط، وما أدري.

قال: فلما وضعوا الوهق (الوهق: حبل به أنشوطة)، قال:

إذهبوا بي إلى الملك حتى أخبره.

قالوا: امرأتك أعلم الناس بك.

قـــال: فلما دنا مـــن الملك دخل خراباً[1]، فجعل يبكي، ويقول:

يانفس، تقتلـــين، يانفس، تموتين يانفس، ما عِلمُك بالرؤيا؟

قال: فخرجت عليه حيّة، فقالت:

ياشقيّ، مالك؟

قال: فأخبرها، قالت:

فإن أنا أخبرتك بالرؤيا، أتجعل لي نصف ما يعطيك الملك.

قال: نعم.

قالت: فإن الملك رأى أن السماء

---

(١) لعل دخوله الخراب في البدء، كان من أجل أن يبول، لأن البول حصره بسبب الخوف.

تمطر ثعالب، فإذا ذكر، وقال: صدقت، فإذا قال فما تأويلها؟

فقل: زمن مكر.

قال: فجاء حتى دخل على الملك، فقال:

إني رأيت رؤيا، فنسيتها، فما هي؟

قال: رأيت السماء تمطر ثعالب.

قال: نعم، فما تأويلها؟

فقال: زمن مكر.

قال: أجيزوه.

فلما قبض جائزته حاد عن الطريق، فلم يمرّ بالحيّة.

فلما كانت السنة الثانية رأى الملك

رؤيا فنسيها، قال:

عليّ بالرجل.

قال: فجاء حتى دخل الخراب، فبكى، فخرجت عليه الحية، فقالت:

يا غدّار.

فقال: هذه السنة أوفي معك.

قالت: إن الملك رأى أن السماء تمطر أسنة حديد، فإذا قال لك: ما تفسيرها؟

فقل: زمن دماء.

قال: فجاء، فلما دخل على الملك قال:

إني رأيت رؤيا، فنسيتها، فما هي؟

قال: رأيت أن السماء تمطر أسنّة من حديد.

قال: صدقت، فما تفسيرها؟

قال: زمن دماء.

قال: فاحترس.

قال: ضعّفوا له الجائزة.

قال: فلما قبض جائزته جاء حتى دخل الخراب، وكان اتخذ معه حديدة ليشرخ بها الحية.

فقال: ياحيّة، يا حيّة.

قال: فخرجت، فأهوى بيده إليها، فرجعت، فأدمى ذنبها.

قال: فلما كانت السنة الثالثة رأى الملك رؤيا، فنسيها.

قال: عليّ بالرجل.

قال: فجاء، فدخل الخراب، فأطال البكاء، فخرجت الحيّة، فقالت له:

يا خبيث، أردت قتلي.

قال: هذه السنة أوفي لك:

فقالت: إن الملك رأى أن السماء تمطر بالحملان؛ فإذا قال لك: ما تفسيرها؟

فقل: زمن وفاء وخصب.

قال: فجاء، فلما دخل على الملك قال: إني رأيت رؤيا، فنسيتها، فما هي؟

قال: رأيتَ أن السماء تمطر بالحِملان.

قال: صدقت، فما تفسيرها؟

قال: زمن وفاء وخصب.

قال: ضعّفوا له الجائزة.

قال: فجاء حتى دخل على الحية.

فقال: ياحيّة، هذا كل شيء أعطانيه الملك هو لك، قالت: لا، بل أقسمه نصفين.

قال: فلما قسمه. قالت:

لا، خذه كلـــه، لا حاجة لي فيه. لن ألومـــك في الغدر، كنت في زمن غدر، وإنما أنت بزمنك، ولن ألومك في الـــدم، كنت في زمـــن دم، وإنما أنت بزمنـــك، ولا أحمدك في الوفاء، فإنما أنت في زمن وفاء؛ فانتقل بالمال

كله".

(مقالات الأدبـــاء، ومناظرات النجباء لعلـــي بـــن عبدالرحمن بن هذيـــل الغزاوي الغرناطي).

السعي للعلم:

كانوا في ذلك الزمن يتســـقطون سحب العلم أين ســـوف تهـــل، فيذهبون إلى مناقع مطرها، ومصادر العلم هذه، وحرصهم على الرشف منها، والاستزادة بها، هو الذي جعل لهم هذا الأفق الواســـع من المعرفة، ولنعرف مدى هذا الحرص ننظر مرامي القول التالي:

"يروى عن عيسى الخياط:

عن الشعبي قال:

لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام
إلى أقصى اليمن، ليسمع كلمة ينتفع
بها فيما يستقبل من عمره، ما رأيت
أن سفره قد ضاع".
(بهجة المجالس: ٢٧).

غباء وجهل:

من ملاحظات الشعبي لبعض الناس، وكثرة جدلهم، ولجاجهم، وعدم فهمهم لما يقال، قوله:

"قال الشعبي في قوم ذكرهم:
ما رأيتُ مثلَهم أشدَّ تنابزاً في مجلس،
ولا أحسنَ فهماً من محدّث".
(بهجة المجالس: ٤٥).

باب في السُّنَّة:

الشـــعبي في النص التالي يتطرق إلى كيف يكون الاستقبال، وكيف يكون التوديع، لأن الأمرين يسيران على نظام متقن، قد لا يعرفه بعض الناس، ولهذا نبّه إليه:

"قال الشعبي:

(السُّـــنَة، إذا قدم رجل من سفر، أن يأتيه إخوانه فيسلموا عليه، وإذا خرج إلى ســـفر أن يأتيهم فيودعهم، ويغتنم دعاءهم".

(بهجة المجالس: ٢١٦).

اختيار الرجال:

الحاكم العادل الحازم، يهتم باختيار الرجال

الذيـــن يمثلونه في أطراف الوطـــن البعيدة، ويؤمل أن يكونوا من الكفاية ما يؤمل فيهم، ليطمئـــن، وهو في مقره، علـــى كل أجزاء مملكته، وخيرُ مَثَل، لِمثْل هذا الحاكم، الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فلنُطِلَّ هنا على تصرفه تجاه هذا الأمر:

"روى الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي:

قال عمر بن الخطاب:

دلّوني عن رجل اســـتعمله، فقد أعياني أمر المسلمين.

قالوا له: عبدالرحمن بن عوف.

قال لهم: ضعيف.

قالوا له: فلان.

قال: لا حاجة لي به.

قالوا فمن تريد؟

قال: رجـــل إذا كان أميرَهم كان كأنه رجل منهم، وإذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم.

قالوا: ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي.

قال: صدقتم".

(بهجة المجالس: ٣٣٦).

قول ينقذ رقبة:

إذا قيل القول بإخلاص، وبنية حسنة وفي سبيل الإصلاح، وإبعاد الأذى عن المظلوم، والتســـامح من أجل الله، يتوقع له أن يؤدي

الغرض منه، لأن عناصر القوة فيه تغلب كل رأي أضعف:

"قال الشعبي:

دخلت يوماً على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله. فقلت:

أصلـــح الله الأمير، أنت على فعل ما لم تفعل أقدر منك على ما فعلت، ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة.

قال: صدقت يا شعبي.

وأمر بالرجل إلى السجن".

(بهجة المجالس: ٣٤٧).

تعليق على قول:

لشهرة الشعبي، وتسـقّط بعض المعجبين لأقواله، دُوّنت أمور طفيفة عنه، وعما يتلفّظ به، ومع هذا فإن ما قال يحمل روح الشعبي:

"ومن أمثالهم:

من لم يكن ذئباً أكلته الذئاب.

وكان الشـعبي، إذا تمثـل بذلك يقول:

ومـن ذا الذي يرضـى أن تأكله الذئاب".

(بهجة المجالس: ٣٦٥).

الكبائر:

الشـعبي من منطلق علمه بالدين يفصل

الكبائر التي تأتي عادة مجملة، لا يعرف كثير من الناس ما يدخل تحتها وما لا يدخل:

"قال الشعبي:

الكبائر: الإشـــراك بالله، واليمين الغموس، وعقـــوق الوالدين، وقتل النفس".

(البصائر: ٢/١٠٢).

تأنيبٌ لباهلة:

يروي الشـــعبي القصة الآتيـــة لطرافتها، ولغرابتها، وقد جاء ما فيها تأنيباً لباهلة التي أعطى أحد أبنائها عطاءاً قليلاً، فأعطاه السائل عطاءاً أكبر، وقال: لعل هذا يزيد في فحولة رجال باهلة:

"صلى الشـــعبي في مسجد باهلة، فقام أعرابي، فسأل (أي استجدى)؛ فأمر له إنسان من باهلة برغيفين، فلم يأخذهما.

ومضى، فجاء برغيف كبير حسن، وقال:

يا باهلة، اســـتفحلوا هذا الرغيف لخبزكم، فلعلكم أن تنجبوا".

(البصائر: ٢/٢١٤).

اختيار بيت:

للأدباء أذواق يتميز أحدهم بها عن الآخر، وهنا ما اختاره الشعبي مناسباً ذوقَه، وما رأى فيه من فضائل:

"قال الشعبي:

لا يكـــون في الرجل ســـيداً حتى يستعمل بيتي الهُذلي.

[قيل] وما هما؟

قال:

وإني للبّاس على المقت والقلى

بني العم منها كاشح وحسود

أذبّ وأرمي بالحصى من ورائهم

وأبدأ بالحســـنى لهم وأعود"

(البصائر: ٣/١٠٥).

يحدث عن ربه:

يفاجأ الإنسان ببعض التعبيرات، التي لم تأت في باله إلى أن يتلفظ بها عالم، وهذا الشـــعبي

يقول جملة قد لا يكون أحد قالها قبله:

"قال الشعبي:

الـــذي يقرأ القرآن إنما يحدث عن ربه".

(البصائر: ٤/٣٥).

توسد يده ونام:

يأبى الشـــعبي إلا أن يكون مرحاً أحياناً، ولا يكتفي بالأقوال، بل قد يرى أن الأفعال أوضح تعبيراً، وأوفى للجواب، وهذه طريفة من طرائفه:

"قيل للشعبي: كيف بتّ البارحة؟

فطوى كســـاءه في الأَرض، ثم نام عليه، وتوسد يده، وقال:

هكذا بتّ".
(البصائر: ٥/٦٥).

مصائد العقول:

الحديث يكشـــف عن عقل صاحبه، لأن اللسان ترجمان الجنان، يفضح ما أخفي، لأن الحديث باب يفضي لمن نظر إلى ما بداخله، وهذا الشعبي يعطينا الحكمة مختصرة:

"قال الشعبي:
الكلام مصائد العقول".
(الأصمعي: ٥/١٥٣).

الإقدام والوعد:

نبقى في النص الآتي مع الشعبي وحكمه، ونتائـــج التجارب، ونرى رأيـــه في الإقدام

علـــى عمل ما، والوعد الذي قد يعطيه المرء للآخرين.

"قال الشعبي لأصحابه:

لا تقدمـــوا على أمـــرٍ تخافون أن تقصروا دونه؛ فإن العاقلَ يحجزه عن مراتب المتقدمين ما يرى من فضائح الأولين المقصريـــن، ولا تَعِدوا أحداً عِدة لا تستطيعون إنجازها؛ فإن العاقل يَحجزه عن الكذب ما يرى من المذقة في الحلف. ولا تحدّثوا بين الناس مَن تخافون تكذيبه؟ فـــإن العاقل يُلزمه الصمت ما يرى من مذمة التكذيب. ولا تســـألوا أحداً مـــن الناس (ما) تخافون منعَه، فإن العاقل يحجزه عما

ناله السائلون ما يرى من الدناءة في الطبع".
(البصائر ٥/١٦٨).

حَزم السفهاء:

صغار السن في مراحل نموهم لهم سَفَه، ولابد أن يؤخذ على أيديهم بطرق تربوية صحيحة، وسفه الصغار قد يزداد في مجتمع وقد ينقص، والشعبي يروي حديثاً يصور به، بدقة، تكاتف المجتمع على القضاء على العيوب:

"قال الشعبي:

سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر: أيها الناس خذوا على أيدي

سفهائكم، فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول:

"إن قوماً ركبوا البحر في سفينة، فاقتسموها، وأخذ كل رجل مكاناً، فأخذ بعضهم الفـــأس، فنقر مكانه، قالوا له:

ما تصنع؟

قال: مكاني أصنع به ما شئت.

فإن أخذوا على يـــده نجوا، وإن تركوه هلكوا".

(البصائر: ٢٠٢/٥).

إذا عضه كلب غنم:

النص التالي يدور حول اســـتفتاء في أمر

الدين، حكم فيه الشـــعبي حكماً يدل على عقل وحسن تفكير:

"سئل الشعبي عن رجل مرّ بغنم، فعقره كلبها، فقال:

إن كان هو الداخـــل على الغنم فلا ضمان عليٍ صاحب الغنم، وإن لم يكن داخـــلاً عليها فعقره الكلب فصاحب الكلب ضامن".

(البصائر: ٦/٦٢).

متى يكون الشخص ضامناً:

في مجتمـــع ذلـــك الزمن كانـــت دواب الركوب تؤدي أعمالاً رئيسة، وكان أغلب الحديث عن الحمير والبغال والخيل، وهي ما

يكون داخل المدن، وقد يأتي منها أذى، فمن الضامن إذا حدث شـــيء من هذا، والشعبي يفتي في هذا الأمر:

"قال الشعبي:

من ربط دابة على طريق من طرق المسلمين فهو ضامن".

(البصائر: ٦/٦٥).

فكرة نبيلة:

أن يتغاضى المـــرء عن الخطأ غير المقصود أمر محمود، أما أن يجيز عليه، فهذا يعد غاية في النبل:

"قال الشعبي:

دعا عمر حجاماً يأخذ من شعره،

فتنحنح عمر، فضرط الحجام؛ فأعطاه أربعين درهماً".

(البصائر: ٦/٧١).

من الفتاوى:

أمر ضمان الشـــيء إن تلـــف يؤرقهم في مجتمعهم، مما يجعلهم يلجؤون إلى القضاء، أو المستفتين، وهذا الشعبي يفتي في هذا:

"كان الشعبي يضمِّن الأجير المشترك كالصباغ والقصّار والخياط".

وقال الشعبي:

كل أجـــير ضامن إلا أجير يده مع يدك".

(البصائر: ٦/١١١).

المستعير والمستودَع:

الضمان للتالف في مجتمع ذلك الوقت له أهميته، والمستفتون كثير، وقد استفتي الشعبي عن أمر في هذا المجال فأفتى:

"قال الشعبي في المستعير والمستَوْدَع:

إذا خالفا ضمنا".

(البصائر: ٦/١١٢).

طبائع الناس:

يتعمق الشـــعبي في عمق نفـــوس الناس، ويصفهم حسب تجربته في الحياة، وتحليله لما يراه، وفي أحد أحكام العامة يقول:

"قال الشعبي:

لو أصبتُ تسعاً وتسعين وأخطأتُ

واحدة، حملوا الواحدة".
(البصائر: ٦/٢٤٩).

الجزاء من جنس العمل:

إذا كان السؤال ساذجاً فله عند الشعبي جواب يتناسب معه، ومع طبيعة الشعبي المرحة:

"سأل رجل الشعبي عن أكل الذباب فقال: إن اشتهيت فكله!.

وسأل آخر الشعبي عن أكل لحم الشيطان فقال: ويحك، ويدعك الشيطان تأكل لحمه؟ إرض منه بالكفاف".

(البصائر: ٧/١٠٨).

يهزأ الشعبي مرة أخرى:

لا يستطيع الشـــعبي أن يخفي شعوره تجاه الأقوال التي لا تأتي موافية للصواب، وها هو يهزأ ممن وصف مملـــوكاً بصفة كبار القوم، وليته أكمل المشكلة وحلّها:

"تقدم إلى الشـــعبي رجلان، فقال أحدهما:

إني اشتريت من هذا غلاماً صبيحاً فصيحاً صحيحاً.

فقال: هـــذه صفة محمد بن عمير، سيد بني تميم".

(البصائر: ١٧٧/٧).

عمق في الفكر:

يتعمق الشـــعبي في طبيعة البشر، ويعطي أحكاماً عامة عما لاحظه مما يمر به مما هو ثابت على طريق واحد، وها هو يعطي أحكاماً لا يفتأ المفكر إلا أن يوافقه عليها:

"قال الشعبي:

الجاهل حَصِر، والحكيم حالم، ولم يعـــرف قدر الأبهّة من لم يجرّعه الحلم غصص الغيظ".

(البصائر: ٢٣/٧).

الناس والزمن:

وَصف الشـــعبي تَعايُش الناس مع الزمن، وصفاً دقيقاً، من تحليله تنبأ ما سيكون عليه

الأمر في المستقبل، وعلى القارئ أن يتدبر ما نحن عليه الآن، فهل صدق حدس الشعبي أم لا:

"قال الشعبي:

تعايش الناس زمانـــاً بالدين حتى ذهب الدين، وتعايشوا بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعايشـــوا بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة، وسيتعايشون بالجهالة زماناً طويلاً".

(البصائر: ٨٨/٧).

ملاحقة وهروب:

تتغـــذى روح الفكاهـــة ببعض الحوادث

التي يهيء الله للمرء أن يمر بها، وكأنها تشم رائحته، وتبحث عنه، فتفلح خلاف ما جاء في القصة من ملاحقة رجل له، فيخفق في الحصول عليه:

"قال رجل للشعبي:
مازلت أطلبك، فقال:
ومازلت فارّاً منك".
(البصائر: ٣٩/٩).

سلّم الوصول إلى الغاية:

"قال الشعبي:
حضرت مجلس زياد وحضره رجل، فقال أصلح الله الأمير، إن لي حرمة أفأذكرها؟

قال: هاتها:

قال: رأيتك بالطائف، وأنت غليّم، ذو ذؤابة، وقد أحاط بك جماعة من الغلمان، وأنت تركض (لعلها ترفس أو تركل) هذا مرة برجلك، وتنطح هذا مرة برأسك، وتكدم هذا مرة بأسنانك. وكانوا مرة ينثالون عليك، وهذه حالتك وحالهم؛ ومرة يندّون عنك وأنت تتبعهم، حتى كاثروك، واستقووا عليك، فجئتُ حتى أخرجتك من بينهم، وأنت سليم وكلهم جراح.

قال: صدقت، أنت أنت ذاك الرجل؟

قال: أنا ذاك.

قال: حاجتك؟

قال: حاجة مثلي الغِنى عن الطلب.

قال: ياغلام، أعطه كل صفراء وبيضاء عندك.

ونظر، فإذا قيمة ما يملك في ذلك اليوم أربعة وخمسون ألف درهم، فأخذها وانصرف.

فقيل له بعد ذلك:

أنت رأيت زياداً وهو غلام بهذه الحال؟

قال:

إي والله، لقد رأيته وقد اكتنفه

صبيان صغيران كأنهما من سـخال المعـز، فلولا أدركتـه لظننت أنهما يأتيان على نفسه".
(البصائر: ٩/١٧٤).

ويمكن أن نقارن هذه الحادثة بحادثة مماثلة حدثت مع معاوية، وهذه هي:

"وقف رجل على معاوية، وهو في مجلس العامّة، فقال:

يا أمير المؤمنين، إن لي حرمة.

قال: وما هي؟

قال: دنوت من ركابك يوم صفين، وقد قرّبت دابتك لتنهزم، ورأى أهل العراق الفتح والظفر.

فقلت لك:

والله لـــو كانت هنـــد بنت عتبة مكانك ما هربت، واختارت أن تموت كريمـــة، أو تعيش حميدة. أين تهرب، وقد قلدتك العـــرب أزمة أمورها، وأعطوك قيادة الأعنة؟

فقلت لي: أخفـــض صوتك لا أم لك.

ثم ثبتّ، وثابـــت حُماتك إليك، وتمثلت بقول عمرو بن الاطنابة.

وقولي كلما جشأت وجاشت

مكانك تحمدي أو تستريحي

قال: صدقت، ولوددتُ أنك الآن خفضت من صوتك.

ياغلام أعطه خمســـين ألف درهم، ولو أحســـنت الأدب لأحسنا لك الزيادة".

(البصائر: ٩/١٧٤).

الأعمش

واسمه أبو محمد سليمان بن مهران الكاهلي، وسمي الأعمش لضعف في بصره، وقد سئل عن سبب عمشه، فرد بطريقته الساخرة رداً يستحق السائل أن يسمعه:

"قيل للأعمش:

لِمَ عمشت عيناك؟

فقال: من النظر إلى الثقلاء.

(وفي رواية إلى الثقلاء مثلك).

(الكشكول: ١٠).

والأعمش من أعمدة الأدب في زمنه، له نوادر اقتنصت ودونت، وله طرائف كانت حديث مجتمعه، وله غرائب سارت بها الركبان.

أقوام وأقوام:

الأعمش نظر في دروب الحياة، ورأى عجباً، رأى متناقضات تستوجب الالتفات، مما أوجب عليه أن يبين بعضها في الكلمات الآتية، مستقاة من كتاب "ربيع الأبرار" (ص ٤٥٤/١):

"قال الأعمش:

أدركت أقواماً لا يلقى الرجل أخاه الشهر والشهرين؛ فإذا لقيه لم يزده عن: كيف أنت؟ وكيف حالك؟ ولو سأله شطر ماله أعطاه.

ثم أدركت آخرين، إذا لم يلق أخاه يوماً سأله عن الدجاجة في البيت، ولو سأله حبة من ماله منعه".

مع اللغة:

علماء ذلك الزمن لا يترددون في تصحيح ما قد يأتي من علمـــاء آخرين، من أخطاء، ويكـــون أحد العالمين واهماً، وقد يكون فيما يجري من نقاش فيه بعض الخشـــونة، وهذا مثل لذلك، ساقه صاحب؛ "مجالس العلماء" (١٧٧، ٢٣٨):

"قـــال الأعمش في حديث عبدالله بن مسعود حين خرج على أصحابه، فقال:

إني لأعلم بمكانكم، فما يمنعني من الخروج إليكم إلا مخافة أن أملّكم؛ إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يتخولنا بالموعظة، مخافة السآمة

علينا.

فقال أبو عمرو بن العلاء، وكان إذ ذاك بالكوفة:

إنما هو: يتخوننا بالموعظة.

فقال الأعمش: يتخولنا.

فقال أبو عمرو: يتخوننا.

فقال الأعمش: وما يدريك؟

فقال أبو عمرو؛

إن شئت أن أعلمك أن الله – جل وعز – لم يعلمـــك من العربية حرفاً واحداً أعلمتك".

قول الأُذُن:

ويأبى الأعمش إلا أن يطلع علينا من جعبة

علمه ما يوقفنا للتأمل، وتصديق ما يأتي منه مثل قوله "ربيع الأبرار" (ص ٦٩٦/١):

"قال حفص بن غياث القاضي:

خرج علينا الأعمش يوماً، فقال:

هل تدرون ما قالت الأذن؟

قلنا: وما قالت؟

قال: لــولا أني أخــاف أن أُقمع بالجواب لطلت كما يطول اللسان.

قال حفص:

فكم من كلمة غاظــني صاحبها منعني جوابها قول الأعمش".

ضرب الجمّال:

كانــت أخطاء الجمّالين في موســم الحج

ملاحظة، ويُغتاظ منها، وانتشار التآذي منها يكاد يكون عاماً، ولعل السبب في هذا هو محاولة الكسب في هذا الموسم القصير. ولم يسلم الجمّالون من تعليق الأعمش القاسي.

"عيون الأخبار" (صفحة ١/٤٤٠):

"من تمام الحج ضرب الجمّال".

نظرة ونظرة:

تختلف نظرة الناس تجاه تصرفات آخرين، وهذا الأعمش يبدي رأياً يدل على إنسانية تحب للناس الآخرين الخير، وتحرص ألا يلحقهم بسببه إثم، وهذا ما بدا من الأعمش في القصة التالية:

"كان إبراهيم النخعي في طريقه،

فلقيه الأعمش، فقال له:

يا إبراهيـــم، إن الناس إذا رأونا، قالوا: أعمش وأعور.

قال: وما عليك أن يأثموا ونؤجر.

قـــال: ومـــا عليك أن يســـلموا ونسلم".

(العقد الفريد، ٢/٢٣٧).

الصلاة خلف الحائك:

يتعرض الأعمش في مجتمعـــه، وهو العالم القادر على الافتاء، إلى بعض الاســـتفتاءات الغريبة، فيجيب بما هـــو مثلها في الغرابة أو أكثـــر؛ لأن روحه المرحة أحياناً تغلب عليه، فلا يرى ردها عن أن تنفس عن بعض ما بها

تجاه المستفتي، وهذه إحدى هذه الحالات:

"قال حائك للأعمش:

مـــا تقـــول في الصـــلاة خلف الحائك؟

قال: لا بأس بها على غير وضوء.

قال: فما تقول في شهادته؟

قـــال: تقبل مع عدلين يشـــهدان معه".

(الكشكول ٢/٢٤٩).

دعوة على سمك:

والأعمـــش لا ينتظر الفكاهة حتى تفرض عليه، إنه يبتدع أسسها، ثم يبني عليها ما شاء له البناء، ما دام نجح في أول المخطط، ولعل

لعدم الكلفـــة بين من يوجه له هذا "المقلب" "رفع الكلفة"، فيسير بالأمر إلى نهايته، وهذه إحدى هذه الفكاهات. لقد صدق الأعمش في الحقيقة، ودقة التعبير، ولم يصدق في زرع الإيهام في فهم السامع:

"يروى عن محمد بن القاســـم أن الأعمش قال لجليس له:

أما تشتهي بنا ني (نوع من السمك)، زرق العيون، بيض البطون، ســـود الظهور، وأرغفة بـــاردة لينة، وخلاّ حاذقا؟

قال: بلى.

قال: فانهض بنا.

قال الرجل: فنهضت معه، فدخل

مترله، وقال: جُرّ تيك السـلة. قال فكشطها، فإذا فيها رغيفان يابسان، وسكرّجة كامخ شبت، قال:

فجعل يأكل، وقالً: كل.

فقلت أين السمك؟

فقال: ما عنـدي سمك، إنما قلت تشتهيه؟".

(المراح في المزاح: ٣٤١-٣٤٢).

فروة الأعمش:

تأتي روح الفكاهة للأعمش في أي وقت، ولا يتردد في قنص شاردها، فروحه البهجة تحتـاج إلى غذاء مما ترتـاح إليه، وتعيش في كنفه، وهذه واحدة "على الماشي":

"قال ابن عياش:
رأيت على الأعمش فروة مقلوبة،
فمررنا على كلب، فتنحى الأعمش،
وقال:
لا يحسبنا شاة".
(المراح في المزاح: ٣٤٢).

ما الهبر ما الهبر؟

وإذا كان النص السابق طريفاً، فإن النص الآتي يرجع الأعمش إلى تخصصه، ويروي شيئاً من الخلل عنه، يقول النص:

"قال الأعمش:
سمعت الحجاج على منبر الكوفة
يقول:

يا معشـــر الحمراء (يعني الفرس) تخلفتـــم عن الغزو، وجلســـتم على الكراسي، وتبردتم تحت الظلال، فلا يمرّ بكم مارّ إلا قلتم:

ما الهـــبر؟ (مـــا الخـــبر؟)، والله لأهبرنّكم بالســـيف هبراً أشغلكم به عن الأخبار".

(ربيع الأبرار، ص ٦٤٣).

احذروا الجواب:

والأعمش هنا يعطي حكمة، وينصح كل متكلـــم أن يفكر في جواب الســـؤال الذي يريد أن يسأله، فقد يكون الجواب صاعقاً، وضرب لذلك بمثل، وها هو:

"قال الأعمش:
إحذروا الجـــواب، فإن عمرو بن
العاص قال لعدي بن حاتم:
متى فقئت عينك يا أبا طريف؟
قال: يوم طعنت في استك، وأنت
مول في صفّين".
(بهجة المجالس: ١/٩٤).

جُبّة ضيقة الكُمين:

المحاكمات لدى القضاة فيها نوادر، بعضها يأتي من نباهة القاضي، وصواب حدسه، والنية الطيبة، عنده تجعل أحكامه تأتي صائبة بتوفيق الله؛ والقضاء ليس علماً بالفقه فقط، ولكن ذكاء القاضي وفراســته أحياناً تسبق الفقه،

وقد لا يحتاج معها إلى فقه، وهذا هو الأعمش يروي أمراً وقع عند القاضي "شـــريح" أحد أبرز القضاة في ذلك الزمن:

"قال الأعمش: أخبرني تميم بن سلمة أن رجلاً شهد عند شريح، وعليه جبة ضيقة الكمين. فقال شريح:

أتتوضأ وعليك جبّتك؟

قال: نعم.

قال: احسر عن ذراعيك.

فحســـر، فلم يبلغ كـــم جبته إلى نصف الساعدين؛ فرد شهادته".

(البصائر ٦/٣٠٦).

القميص المقلوب:

الأعمش صاحب نوادر تلفت النظر، لغرابتها في ضوء ما يعمله المجتمع، أو يقبله، ولكنها لا تخرج، عند التفكير، عن العقل وهذه إحداها:

"كان الأعمش يلبس قميصه مقلوباً، ويقول:

الناس مجانين، يجعلون الخشن إلى نفوسهم واللّيّن إلى عيون الناس".

(ربيع الأبرار: ٤/١٣)[1].

وليس هذا هو التصرف الغريب في لباس الأعمش فهناك موقف آخر، استغربه الناس

---

(١) انظر ما ورد في كتاب البصائر عن هذا الخبر، والخبر هو في ص ٣٧١-٣٧٦ من هذا الكتاب.

منه تجاه لباسه. ونحن لا نعرف جيداً صفات الملابس في ذلك الزمن، فإذا قيل قميص جاء في ذهننا ما يلبس في إحدى مناطق بلادنا؛ على أي حال فلباس الأعمش منتقد من قومه:

"قال وكيع:

راح الأعمش إلى الجمعة، وقد قلبت فروته، وجعل على كتفه منديل الخوان مكان الرداء".

(ربيع الأبرار: ١٢/٤، عيون الأخبار: ٤١٩/١).

ذكاء سارق:

لو أن السارق الذكي صرف ذكاءه إلى كسب مال حلال، بدلاً من المال الحرام،

لكســـب رضى الله، وهذا ســـارق ساعده ذكاؤه، وســـرعة بديهته، على النجاة، وفاز بسرقته:

"قال الأعمش:

دخل رجل داراً، فســـرق طِستاً،

فلما خرج رأى على باب الدار نفراً،

فالتفت إلى الدار، فقال:

إن لم يُشترَ بسبعة، أبيعه بستة؟

يوهم أنه دُفع إليه لبيعه".

(البصائر: ٤/١٤٨).

بطة سمينة:

يفكر الأعمش في الأمثـــل، مما لم يتنبه له الناس، فإذا دعا داع إلى دعوة غداء أو عشاء،

فإما أن يجيب أو يعتذر، ولكن الأعمش لديه طريقة ثالثة لم تخطر علـــى بال الداعي، ولا على بالنا:

"قال أبو عوانة قلت للأعمش:

يا أبا محمد، إن عندي بطة سمينة،

أفتكون عندي في الدار؟

قال: وما تصنع بعنائي؟!

أبعث بها إلى الدار".

(بهجة المجالس: ٢٨٣).

المؤذن مؤتَمنٌ:

الإمام والمؤذن مؤتمنان على المساجد، ولهذا لا غرابـــة في أن يهتم بأمرهما الأعمش، فيما نقله.

"قال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

الإمـــام ضامن، والمـــؤذن مؤتمن، فأرشد الله الأئمة، وغفر للمؤذنين".

(البصائر: ١/٨٥).

يضحك تعجباً:

الأعمش عـــرف بالفكاهـــة في الأقوال، وبالصراحـــة أحياناً أخـــرى، وهذه إحدى البسمات على ثغره:

"خرج الأعمش يوماً إلى أصحابه وهو يضحك؛ فقالوا له:

ما ذاك، يا أبا محمد؟

(قال): قالت بنيتي لأمها:
يا أمّه، لم تجدي أحداً تَزَوّجينه إلا هذا الأعمش؟".

صلف الأعمش:

يبـــدو أن الأعمش أحيانـــاً لا يملك قياد أعصابـــه، فيتصرف مع الآخرين بخشـــونة، بشهادة من ربما هي زوجه.

"قال داوود بن الزبرقان:
سفه علينا الأعمش يوماً، فكلمتنا امرأة من وراء الباب، وقالت:
احتملوه، فوالله ما يمنعه من الحج مذ ثلاثين ســـنة إلا مخافة أن يلاطم زميله، أو يشاتم رفيقه".

(البصائر: ٩٢/٧).

ثقيل الظل:

ومن صراحته التي تتصف بالخشـــونة مع مخاطبه النص التالي:

"دخل أبـــو حنيفة على الأعمش، وهو عليل، فجلس وأطال، ثم قال: لعلّي قد ثقّلتُ عليك!

فقال الأعمش: والله إني لأستثقلك وأنـــت في مترلك، فكيـــف وأنت بمترلي؟".

(البصائر: ١٨/٨).

وجهاً لوجه:

الأعمش لا يفكر بالأقوال الدبلوماســـية،

بـــل يرمي الكلام رمي الصخرة، ولا يقترب من اللباقة، ولكثرة ذلك، ومجابهته الناس به، عدوا ما يأتي منه طرائف:

"قال الأعمش لشريك بن عبدالله النخعي المحدِّث، القاضي:

ياشـــريك، لقد أدركـــتُ رجالاً عجنوا في الدين عجنا، لو ســـألتُ رجلاً واحداً منهم عن مســـألة، أو فريضة، ما أحسنها، وما من مكرمة إلا وهي معقودة بمفارق رؤوسهم؛ ما يسرني برجل منهم عشرة مثلك، بل مئة ألف".

(البصائر: ٨/١٠٠).

اصفعوا الشيخ:

لا نزال مع الأعمش في خشونة طبعه، مبعداً عن قول الله - سبحانه وتعالى - ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥):

"قال الأعمش:

إذا رأيتم الشيخ لا يحسن شيئاً فاصفعوه".

(البصائر: ٨/١٠١).

بُعد الأعمش عن المعتاد:

الناس في جانب والأعمش أحياناً في جانب آخر، وهذا ما جعل الأدباء يحرصون على تدوين ما يأتي منه:

"كان الأعمش يلبس قميصاً مقلوباً، قد جعل دروزَهُ (الخياطة) خارجة، ويقول:

الناس مجانين، يجعلون الخشن إلى داخل مما يلي جلودَهم"[1].

(البصائر: ٨/١٠١).

خطباء عبدالقيس:

في هذه المرة رأى من غريمه "العين الحمراء"، وتراجع بانتظام، بعد أن أرعد وأزبد، ثم ارعوى، وقال، بذلة، ما قال:

"قال أبو هاشم سمعت عمي يقول:

---

(١) انظر ما سبق (ص ٣٧٦) عن ما ذكره صاحب "ربيع الأبرار".

كان بين الأعمش وبين رقبة بن مصقلة معارضة، فكتب إليه الأعمش كتاباً يتوعّده.

فأجابه رقبة:

أما بعد، يريبني منك، أبا محمد، أنك تضرع في وعيدك، وتستعين بأمثال غيرك، ولو شئتُ لأضربنّ قذالك بتصريف المقال، ثم لأتبعنّها بنوافذ الأمثال.

فوضع الأعمش يده على رأسه وقال:

ما لنا ولخطباء عبدالقيس".

(البصائر: ٨/٢٠٧).

جفاف الطبع:

جفاف الطبع، وخشونة المنطق تكاد تلازم الأعمش، وفيها مظهر من مظاهر الصراحة، وهو جانب من الشجاعة:

"قال عيسى بن موسى (وهو يلي الكوفة) لابن أبي ليلى:

اجمع لي الفقهاء، واحضروني.

فجاء الأعمش (في جبة فرو، وقد ربط وسطه بشـــريط، فأبطؤا، فقام الأعمش) وقال:

إن أردتم أن تعطونا شـــيئاً، وإلا فخلوا سبيلنا.

فقال عيسى:

يا أبا ليلى:

قلت لك تأتيني بالفقهاء، فجئتني بهذا؟

فقال: هذا سيدنا، هذا الأعمش".

(البصائر: ٨/٢٠٨).

ما ردُّ الأعمش؟

يريده قوم أن يســـير مع الفتنة، فيأتي رده حاسماً، وبأسلوبه غير الرقيق:

"قيل للأعمش أيام زيد بن علي:

ألا تخرج؟

فقال: أما والله مـــا أعرف أحداً أجعل عِرضي دونه فكيف دمي؟!".

(البصائر: ٩/١١٣).

قَبَس ثم انطفأ:

تبع الأعمش طبيعتـــه في أعنف صورها، وفار قِدره، وطفح كيله، وتصرف في وحي ذلك تصرفاً غير لائق، نبهه إلى ســـوئه من حوله؛ فأدرك ســـوء المنقلـــب، وحاول أن يســـلك الطريق الموصل، ومع هذا اختار ما يتناسب مع طبعه في سلوك جادة فيها شيء من الرَّوغان:

"قال أبو معاوية الضرير:

كتب هشـــام بـــن عبدالملك إلى الأعمش أن أكتب إليّ بمناقب عثمان ومساوئ عليّ.

فأخـــذ القرطـــاس فأدخله في فم الشاة، فأكلته، وقال:

قل له: هذا جوابه.

فرجع الرسول وعاد فأتى الأعمش، فقال الرسول:

إنه بدا لي أن يقتلني. وتحمّل عليه بإخوانه. فقالوا:

يا أبا محمد، أنقذه من القتل، فلما ألحوّا قال له:

أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فلو كانت لعثمان مناقبُ أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعلي مساوئ أهل الأرض ما ضرتك، فعليك بخَويصَّة نفسك والسلام".

(البصائر: ٢٠٨/٨).

قناعة لم تكن:

ماذا عن من ادعى القناعة، وهو في الحقيقة أبعد ما يكـــون عنها؟ وهـــذه قصة يرويها الأعمش عن مثل ذلك:

"روى الأعمـــش عن أبي وائل أنه قال:

مضيت مـــع صاحـــب لي نزور ســـلمان، فقدم لنا خبز شعير وملحاً جريشاً، فقال صاحبي:

لو كان في هذا الملح ســـعتر كان أطيب.

أي فأحضره لنا.

فلما أكلنا قال صاحبي:

الحمدلله الذي قنّعنا بما رزقنا.

قال سلمان: لو قنعت بما رُزقت لم تكن مطهرتي مرهونة".
(المراح في المزاج: ص ٣٢٩).

عندما أبـــدى الضيف رغبته في أن يكون مع الخبز والملح الجريش سعتر، ذهب سلمان ورهـــن متاعاً من بيته ليقابـــل رغبة ضيفه. وكان على الضيف عندما لاحظ هذا الغداء المتواضع أن يدرك مقدرة المضيف، ولم يصبر المضيف فلفت نظره إلى أنه لم يكن قنوعاً.

اسم امرأة إبليس:

نعـــود إلى بعض إجابـــات الأعمش على بعض الأسئلة المتناهية في السذاجة، ونسمع

منه الآتي:

"سـأل رجل الأعمش عن اسـم امرأة إبليس؟

فقال: ذاك نكاح ما شهدناه".

(المراح في المزاح: ٣٤٠).

وفي هامش كتـاب "المراح في المزاح" في مجلد (في الملح والطرائف) نشر مكتبة المعارف بالطائف (ص ٣٤١) ثلاث قصص، تبين روح الأعمش المرحة:

الأولى:

"جاء رجل فقال:

اكتريـت حماراً بنصـف درهم، وجئتك لتحدثني.

فقال له:

اكتر بالنصف الآخر، وارجع، فما أريد أن أحدثك".

الثانية:

"قيل له:

هل تمرض الروح؟

قال: نعم من ظل الثقلاء.

قال بعض أصحابه:

فمررت به يومـــاً وهو بين ثقيلين

فقلت:

كيف الروح؟

قال: في الترع".

الثالثة:

"قال الأعمش لخياط مرّ به:

عندي حب مكسور (أي إناء واسع من الفخار) تخيطه؟

فقال الخياط:

إن كان عندك خيوط من ريح!".

ما لهذه الصاقعة إلا هذه الباقعة، والأعمش بدأها، والبادي أظلم.

من مظاهر الكرم

سجلت كتب الأدب كثيراً من مظاهر الكرم، سواء كان ذلك في عصر الجاهلية أو في العصور الإسلامية، وأرت مظاهر لا تكاد تصدق في هذا المجال. وقد حرص المدوّنون على تدوين قصص الكرم لأنهم وجدوا أن لها قبولاً من السامع أو القارئ، وأنها قناديل تضيء المجتمع الذي قيلت عنه. ويكاد الكرم أن يكون في دم العربي، ينميّه الآباء في الأبناء، فلا تنقطع السلسلة.

يأتون بالأمثال عن حاتم الطائي وأخته، فيتمنى السامع أنه حاتم، لأن سيرته تخللت القرون، ولا تزال كما هي، لم يبهت لها ضياء،

ولم تخبُ لها جذوة.

وجاء الإســـلام، وازدهر المجتمع، وأيسر الناس في بعض العصـــور الأولى المتتالية، إلى نهاية عصر العباسيين المزدهر. فقيل عن مظاهر الكرم ما يتناســـب مع النعم التي أنعم الله بها على بعض أفراد المجتمع، ممن لهم دخول ثابتة وجزلة.

وأمامي نص أورده المقّري في كتابه "المختار مـــن نوادر الأخبار"، فقد جاء الكرم فيه من أصل زاكٍ، وعترة نبيلة، ولا غرو أن ما دوّن وجد من يمدونه.

الحسن والحسين:

"وحدث أبو الحسن المدائني قال:

خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر - رضي الله عنهم - حجاجاً، فسبقتهم القافلة، وفاتتهم أثقالهم؛ فجاعوا فمرّوا بعجوز في خبائها، فقالوا لها:

هل من شراب؟

فقالت: نعم.

فأناخوا بها، وليس لها إلا شربة واحدة. فقامت، وحلبت الشاة، وأتتهم بلبنها، فشربوا فقالوا:

هل من طعام تحيينا به؟

فقالت:

أذنت لكم أن تذبحوا هذه الشاة، فما عندي سواها.

فقام إليها أحدهم، فذبحها، وقطّعها، فهيأت لهم العجوز منها طعاماً، فأكلوا، وأقاموا حتى أبردوا.

فلما ارتحلوا قالوا لها:

إنا قوم من قريش نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا لمّي بنا، فإنا صانعون لك خيراً - إن شاء الله - ثم ارتحلوا.

وجاء زوج المرأة، فأخبرته خبر القوم، وما قالوا لها. فغضب وقال: ويحك! أتذبحين شاة ما لنا سواها لقوم لم نعرفهم؟

ثم بعد مدة الجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة، فدخلاها، وجعل يبيعان البعر، ويعيشان بثمنه. فمرت العجوز

في بعض طرق المدينة، وإذا "الحسن" على باب داره، فعرف العجوز، ولم تعرفه، فبعث إليهـــا غلامه، فدعاها إليه، فقال لها:

يا أمة الله، هل تعرفينني.

قالت: لا.

قال: أنا أحد ضيوفك يوم صَنَعتِ الشاة.

قالت: بأبي أنت وأمي.

فأمر أن يشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة، وأمر لها بألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى أخيه "الحسين"، فدفع لها ألف شاة وألف دينار، ثم بعث بها إلى عبدالله بن جعفر، فقال:

بكم وصلك الحسن والحسين؟
قالت: بألفي شاة وألفي دينار.
قال: لو بدأت بي لأتعبتهما، ثم دفع لها ألفي شاة وألفي دينار.
فرجعت العجـــوز لزوجها بالمال والأغنام".
(صفحة ١٢)

وحاولت أن أعمـــل عقلي في تحليل هذه القصة فوجدت بعض مداخل الضعف:

١) عظم المال على امرأة واحدة، وأخذت أفكر من أين لهؤلاء الكرام هذه الأموال التي تخرج بهذه الســـهولة، وقلت في نفســـي قد يكون لهم ضياع تغل شيئاً كثيراً.

٢) لم أتصور امـــرأة من عامة الناس قوتها من شاتها يقبل منها أن تذبحها. وبعد هذا مِمّ تقتات؟ إن هؤلاء النبـــلاء لم يكونوا ليقبلوا هذا.

٣) وَهَبْ هذا حدث، ما منعهم إذ لحقوا ثلاثتهم بالقافلة أن يرسلوا لها ما يحسن حالها وزوجها، ويزيد ما داموا بهذا الكرم.

٤) هذا العطاء الجزل، والتنقل من واحد للثاني، ثم للثالـــث، ثم الذهاب إلى "حوش" الصدقة، وشـــراء هذه القطعان، لا يمكن أن يتم بين ضحى وعشـــية، أين الزوج؟ وهل المدينة في تلك الأيام صغيرة، بحيث مرت المرأة بالحسن فعرفها. لماذا لم يفقدها زوجها، وهما معاً يجوبان الشوارع لجمع البعر المتساقط من

الإبل، لبيعه لمن يستعمله وقوداً أو سماداً.

٥) لم أستطع أن أرسم صورة للرجل وزوجه يدفعان بهذه الآلاف من الأغنام أمامهما، والحاوية التي تحمل هذه المبالغ. ثم التمس ما يجيب على ذلك بأنهما ابتاعا بعيرين وحمارين، وزوادات؛ وخيمة.

٦) على كل حال هذه القصة تصلح لمن يطالب بالسفور لأن المرأة سافرة، وإلا لما عرفها الحسن رضي الله عنه. وهي لم تعرفه.

هذا ما دار في ذهني، رغم اللذة التي نعمت بها وأنا أقرأ هذه القصة، والمتعة التي خامرتني وأنا أتصور الشياه والدنانير، وسائل خصب تصب في أرض مضها الجدب، وجفّفتها الشمس والرياح.

ولكن، وما أدراك ما لكن![1]

قرأت القصة التي بعد هذه، في هذا المرجع نفســـه، فتهاوت بعض (وليس كل) جدران الشك التي أحاطت بي، وحُلّ بعض ما كان لغزاً أمامي، فقد أوضحت هذه القصة الثانية بعـــض ما أضاء جوانب الظلمة التي انتابتني، ولم يكن رأيي فيها حسناً كما شرحت.

تقول القصة الثانية:

"وحكى مصعب بن الزبير، قال:

حج معاويـــة - رضي الله عنه -

في بعض الســـنين فلما انصرف مر

---

(١) عجزت أن أفي بوعدي ألا أناقـــش ما آتي هنا، صحته من كذبه. ولعل هذه المخالفة تكون بيضة الديك.

بالمدينة، فقال "الحسين" لأخيه الحسن – رضي الله عنهما – لا تلق معاوية ولا تسلّم عليه.

فلما خرج معاويـــة من "المدينة"، قال الحسن لأخيه الحسين: إن علينا ديوناً، ولابد لنا من معاوية.

فركب الحســـن، وخرج في طلبه، فلحقه، وسلم عليه، وقضى من حقه ما يجب، وســـأله عن حاله، فأخبره الحســـن بما عليه من الدين، فالتفت معاوية فإذا هـــو ببختيّ من جماله قد أُعيي، وعجز عن المشـــي، ومعه قوم يسوقونه، فقال: ما هذا:

قالوا: هذا بخـــتي قد تعب، وعليه

مال.

قال: كم مقداره؟

قالوا: عشرة آلاف دينار.

قال: اصرفـــوه بما عليه لأبي محمد الحسن".

(صفحة ١٣).

هذه القصة بينت بعض مصادر ثروة الحسن - رضي الله عنه - وبقي الحسين.

ومجيء المال ســـهلاً بهذه الطريقة، يخرج بطريقة سهلة مماثلة. ولم يركب الحسن الدين إلا مـــن الإنفاق الجـــزل، حفاظاً على سمعة الحسن وأسرة الحسن.

كرم وكرم:

وأقف وقفة إجلال وإكبار أمام قصة الكرم التالية بشـــقيها، كرم الغلام وكرم الضيف، ولعل الغلام وقد عاش بين الكرام كان عنده استعداد داخل نفسه أن يتخلق بخلقهم وهذه قصتهما اقتبستها من المصدر نفسه:

"خرج عبدالله بن جعفر إلى بعض أسفاره، فنزل على نخيل لقوم، وفيها عبد أسود يحرسها، فأتى بقوته، وهو ثلاثة أقراص، فدخل كلب إلى تلك النخيل وهو يلهث، فدنا من الغلام، وهو يتشوق إلى تلك الأقراص، فرمى له العبد قرصاً، فأكلـــه، ثم رمى له الثاني، فأكله، ثم الثالث فأكله.

فقال: يا غلام، كم قوتك في كل يوم؟

قال: ثلاثة أقراص.

قال: فلِمَ آثرت هذا الكلب بها؟

قال: ياسيدي، ليست أرضنا بأرض كلاب، ولم أشك أنه جاء من مسافة بعيدة، وهو جائع، ولم يحضرني سواها، فكرهت ردّه من غير شبع.

قال: فما أنت صانع؟

قال: أطوي إلى غد.

قال عبدالله: بَخٍ بَخٍ، والله إن هذا الغلام أسخى مني.

فما برح حتى اشترى النخيل والغلام، ثم أعتقه، ووهب له النخل،

وارتحل عنه".
(صفحة: ١٧).

تقدير الجوار:

كلمـــا أردت أن أقف عـــن ذكر قصص الكرم لاحت أخرى، وكأنها تقول: وأنا ألا أصلح أن يعرفني القراء، وأنا محبوســـة مئات السنين في كتاب: "المختار من نوادر الأخبار" لشـــمس الدين المقري، دون ذنب جنيته إلا أنواري الساطعة بأفعال كرماء شهد لهم الزمن بما منحوه، وبما أرخصوه وهو غال؟.

لقد حرن القلم في يدي، وهو حرون، ولم ينفع معه "العسف" طوال هذه السنين، ووقف أمام هذه القصة، وفتح راحتيه ليتلقاها بهما.

وهـــذه هي، واختها بعدها، أو أخواتها. فأنا، أيها القارئ قريـــب الآن من المصدر وأنت بعيد عنه، أفلا يكون مـــن حقك أن أقرب جواهره إليك.

"عرض محمد بن الجهم داره للبيع، فلما اجتمع الناس دفع له إنسان فيها خمسين ألف درهم.

فقال له محمد بن الجهم: اشترها، وطب نفساً، وقُرّ عيناً.

قال: لماذا؟

قال: إنها بجوار سعيد بن العاص.

قال: وما سيرته في جيرانه؟

قـــال: إن ســـألته أعطـــاك، وإن ســـكتّ عنه ابتداك، وإن أسأت إليه

أحسن إليك، وإن أحسن إليك لم يمن عليك.

فبُلِّغ القول إلى سعيد بن العاص، فوجه إليه مئة ألف درهم، وقال: خذها وأمسك عليك دارك؟".

(صفحة ١٧).

الجار كاد أن يورث:

إن للجيرة مقاماً، يرعاه الطيبون من أمثال سعيد بن العاص، الذي لم يرسل خمسين ألف درهم، وهي ثمن الدار، وإنما ضاعفها، حتى يتأكد أن الضائقة المالية، قد ارتفعت، وولّت إلى لا رجعة. - رحمه الله - فقد حقق القول: الجار قبل الدار والجار الطيب مصدر سعادة

لجاره.

والقصة التالية ليـــس فيها مجاورة، ولكن فيها نفس إنسانية حقة. الطيب من الناس لا يبني سعادته على شقاء غيره. ولن أطيل هذه هي القصة:

"اشترى عبدالله بن عامر ابن كريز، (من أجواد البصرة المشـــهورين) من خالد بـــن عقبـــة داراً، كانت له في السوق، بتسعين ألف درهم.

فلما كان الليل سمع عبدالله بكاء آل خالد، فقال:

ما بالهم يبكون؟

قال: لخروجهم مـــن دارهم التي اشتريتها.

فقال: يا غـــلام، أعلمهم أن المال والدار لهم جميعاً".
(صفحة ١٨).

كرم ابن كريز:

وعبـــدالله بن عامر بن كريز هذا ممن لازم الكرم، فهو بجانبه، وهو عضده عند الحاجة، ورأيت ونحن نتكلم عنه أن أكمل بقصة له:

"خطب عبدالله بـــن عامر الناسٍ في يوم عيـــد الأضحى، وكان عاملاً بالبصرة حينئـــذ، وكان من فصحاء الناس، فارتجّ عليـــه، ولم يُفتَح عليه بكلمة واحدة. فبقي ساكتاً ساعة، ثم قال:

يا أهل البصـــرة، لا يجمع عليكم عبدالله صمتاً ولؤماً، ألا من أخذ شاة من السوق فهي له وثمنها عليّ. قوموا - رحمكم الله.

قـــال: فبادر الناس إلى غنم كانت تباع قريباً من ســـوق بإزاء المسجد، فأخذ كل منهم شـــاة، ووزن عبدالله ثمنها فكانـــت القيمة عن ذلك أربعة آلاف دينار".

(صفحة ٢١).

أبو دلف وكرمه:

أبو دلف رجل مشـــهور، ومشـــهود له بالكرم، وقيل فيه شعر كثير منه قول الشاعر

علي بن جبلة:

إنمـــا الدنيـــا أبـــو دلـــف

بـــين باديـــه ومحتَضـــره

فـــان ولّـــى أبـــو دلـــف

ولـــت الدنيـــا علـــى أثره

وأكتفي بقصة له تمثـــل جانباً من كرمه، وهي قصة تُري مدى تغلغل حماسة الكرم في بعض النفـــوس. إن هذا الرجل، كما تروي القصة، نسي معاناته الشديدة بجانب شعوره بتقصيره في الكرم حسب ما توهّم، والقصة تجرى هكذا:

"ذكر أبو العباس الشيباني قال: لما مرض أبو دلف بالعلّة التي مات فيها، أقام شـــهراً ملازماً الوسادة، فأفاق

يوماً فقال لخادمه "بشر":

كم لي على هذا الحال؟

قال: شهراً.

فبكى وقال:

أيمرّ عليّ من عمري شـــهر لا أبرّ فيه أحداً من الناس؟

يا غلام، أخـــرج إلى الباب، فإن قلبي يشـــهد أن بالباب قوماً لهم إلينا حوائج، فـــلا تمنع أحداً من الدخول إلينا.

فخرج فإذا عشـــرة مـــن آل أبي طالب، فأمرهـــم بالدخول، فدخلوا فابتدر رجل منهم، وقال:

أصلحـــك الله - نحن قوم من بني

أبي طالب، من أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفينا من ولده. وقد أحاطت بنا المصائب، وأجحفت بنا النوائب، فإن رأيت أن تجبر كسرنا، وتغني فقرنا، فعجّل.

فقال لخادمه: خذ بيدي وأجلسني.

ففعل.

فقال ليأخذ كل واحد منكم ورقة، ويكتب فيها بخطه إنه قبض مني مئة ألف درهم، فتحيروا عند ذلك.

فلما كتبوا الرقاع وضعوها بين يديه.

فقال لخادمه: عليّ بالمال. فأحضره

فأعطـــى كل واحد منهـــم مئة ألف درهم. فلما تسلموا المال، قال رجل منهم:

بالآباء نفديك، وبالأمهات نقيك، والله ما لنا مال ولا عقار، وخطوطنا عندك ما تصنع بها؟

فبكى وقال:

أتظنـــون أنها وثائـــق عليكم، لا والله.

ثم قال لخادمه:

إذا أنا مِتّ فاجعل هذه الرقاع في ألفافي، ألقَى بهـــا محمداً - صلى الله عليه وسلم - في عرصات القيامة، ثم قال له:

أوصل لكل واحد منهم ألف دينار لنفقة طريقه.

انصرفوا بارك الله عليكم".

(صفحة ١٩).

سوف أكتفي بهذه الأمثلة، ومن أراد المزيد فعليه الرجوع إلى كتاب: "المختار من نوادر الأخبار"، وسيجد فيه رياضاً خضراء مورقة، وزهوراً بهجة فوّاحة. ومـــا جئت به ما هو إلا نماذج، لعلها تجذب سائح الفكر، وهاوي الأدب، وعاشق جمال الذهن وإنتاجه.

أما أنا فسوف لن أضع الكتاب من يدي حتى أهيـــه، وليت له روحاً يعرف بها أني عرضت وجهه الوضاح على أهل الفكر المضيء، وأنا الرابح.

ضياء الحلم

قلت أني سوف لا أترك كتاب المقّري: "المختار من نوادر الأخبار". وكنت ظننت أني اكتفيت للقارئ بما اقتبست: ومررت بفصل عن "اصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف"، فقاومت واكتفيت بقراءته، ورحمت القارئ من أن أثقل عليه، واجتزت هذا الفصل مرغماً.

ولكني عندما وصلت إلى الفصل المُعنون:

"في الحلم وطيب ثمرته
والعفو وحسن عاقبته"

ضعفت، وغلبني حب القارئ، فتوكلت على الله، واقتبست بعض ما لم أستطع أن

أتجاوزه، والسبب محمول في النص، ففيه رسالة تحث على الاقتداء بالحليم مع البرهان العملي في الحلم ومردوده؛ هذه القصة درسناها ونحن صغار في المدرسة، وكانت هي الركيزة في رسم الحلم، ومدى تغلغله في الأنفس الخيّرة:

"قيل للأحنف بن قيس:

ممن تعلمت الحلم؟

قال: من قيس بن عاصم. رأيته يوماً قاعداً بفناء داره محتبئاً بحمائل سيفه، وهو يحدث قومه؛ فإذا هو قد أُتي له برجل مكتوف ورجل مقتول.

فقيل له: هذا ابن أخيك قد قتل ولدك.

قال: فوالله ما قطع كلام، ولا حل حبوته.

ثم التفت إلى ابن أخيه، وقال له:

يا ابـــن أخي، أثمـــت عند ربك، ورميت سهمك بنفسك، وقتلت ابن عمك.

ثم قال لولده الآخر:

قم فادفن أخاك، وحل كتاف ابن عمك، وادفع إلى أمّـــهِ مئة ناقة دية ولدها؛ فإنها غريبة منا".

(صفحة ٥٥).

للسفيه مقام:

أتذكر قول عبدالله بن عمر، على ما أظن،

وقولـــه الحكيم: ذل قوم ليس فيهم ســـفيه، أتذكره عندمـــا رأيت أمامي في هذا الكتاب الثمين قولاً للمهلب، وقد حلم أمام ما يوجب العقاب، وهذه هي القصة:

"ســـبّ رجل المهلب، وأفحش في سبِّه، وهو ساكت.

فمرّ رجل فســـمعه، فـــردّ عليه وخاصمـــه، وأنـــكاه، ثم التفت إلى المهلب، وقال له:

ألا انتصرت لنفسك؟

فقال المهلب: يا ابن أخي، وجدت النصرة في الحلـــم، ولولا حلمي ما انتصرت لي".

(صفحة ٥٧).

حلم معاوية:

ومعاوية – رضي الله عنه – قيل عن حلمه شيء كثير، وجاء متنوعاً مع رجال ونساء، ممن عداوتهم سياسية أو جهل، فكان كثير الحلم، واسع الصدر، يعطي من أساء له، ويعفو عما عاداه، ويتقرب إلى من جافاه، ويكاد ما قيل عنه في هذا المجال لا يحصى. والله وحده الذي يعلم عن مدى صحة ذلك. ولكن صورة الحلم لصقت به، وأصبح مثلاً يحتذى، وقد يلحق بخلقه الحسن هذا ما هو لغيره، ولكن الراوي رأى أنه لائق به.

وسأروي مثالاً لحلمه، يكشف عما في نفسه، وعمق سياسته، وحسن تقديره للأمور، ولياقة تصرف حاكم عالي المقام:

"كان لعبـــدالله بـــن الزبير أرض مجاورة لأرض معاوية بن أبي سفيان، وكان فيهما عبيد لعمارة كل أرض، فدخل عبيد معاوية في أرض عبدالله، واغتصبوا منها قطعة.

فكتـــب عبـــدالله بـــن الزبير إلى معاوية:

"أما بعد:

يا معاوية، فإن عنـــدك عبيداً قد اغتصبوا أرضي، فمرهم بالكف عنها؛ وإلا كان لي ولهم شأن".

فلمـــا وقف معاويـــة على كتاب عبدالله بـــن الزبير دفعـــه إلى ولده "يزيد".

فلما قرأه يزيد قـــال: ما تقول يا يزيد؟

قال: أرى أن تبعث إليه جيشـــاً يكون أوله عنده وآخره عندنا يأتيك برأسه، وتستريح منه.

قال: عندي خير من ذلك.

قال: ما هو يا أبت؟

قال: عليّ بدواة وقرطاس.

ثم كتب فيه:

"وقفت على كتاب ابن أخي، وقد ساءني والله ما ساءه، والدنيا وما فيها هينة في جنب رضـــاك، وقد كتبت على نفسي مسطوراً أشهدت فيه الله – تعالى – وجماعة من المسلمين؛ أن

الأرض وما فيهـــا، والعبيد الذين بها ملكك، فضمها إلى أرضك، والعبيد إلى عبيدك. والسلام.

فلما وقف عبدالله بن الزبير على كتابه كتب له جواباً فيه:

وقفت علـــى كتاب أمير المؤمنين، لا أعدمني الله بقاءه، ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله هذا المحل.

والسلام.

فلما وقف معاوية على هذا الكتاب أعطاه لولده "يزيد".

فلما قرأه تهلل وجهه فرحاً.

فقال له: يا بني، إذا بليت بشـــيء من هذا فداوه بمثل هذا الدواء، وأنا

لقوم لم نر في الحلم إلا خيراً".
(صفحة ٥٨).

الرجال الذين تشـــع الأنوار من سيرتهم هم محط الأنظار في مجتمعهم، أخبارهم تنقل، وتصرفاتهم الحسنة تنشر، ويُذاع أمرها، فكما رأينا الأحنف بن قيس وقيس بن عاصم، وما جاء عنهم مكرراً ومنوعاً، وأصبحا مضرب المثل، وذلك أن الله أعطاهم المقدرة في حكم أنفسهم، وهي نعمة من الله لا تقدر بثمن.

إن الحلم والعفو والكرم والتسامح أنوار تسير أمام أصحابها لتمهد لهم طريق السعادة، فالأمر يقع فيعالج بأحد هذه القناديل، فتبقى في ذهن المرء عنصر طمأنينة وسعادة، يفرح

بها من اعترضت طريقـــه عالجها بإحدى هذه الفضائل. وخلافه الانفعال والانتقام والبخل ومحاسبة الخصم محاسبة عسيرة، إذا انتهى الأمر فيها تبقـــى في نفس مرتكبها غصة في حلقه أحياناً حتى يموت، ولهذا قيل إن المظلوم في نهاية الأمر أســـعد من الظالم، الذي لابد أن يســـتيقظ ضميره، ويشقيه حتى لو غالط الناس ظاهراً.

نبل المهلب:

إن القصة التي سأرويها عن المهلب بن أبي صفرة، فريدة، لأنه لم يكتف، عند انتقاصه، بغض النظر، أو التظاهر بأنه لم يســـمع، بل غلبته طبيعته النبيلة، فراح يجري وراء طمأنينةٍ

نفسية يربي بها شـــاباً لم يجرب الحياة، وهذا درس ثمين، من جميع الجوانب:

"قيـــل إن المهلب بن أبي صفرة مرّ بحي من همدان، فرآه شاب من أهل الحيّ، فقال:

أهذا المهلب؟

قالوا: نعم.

قال: والله إنه لا يساوي خمس مئة درهم.

وكان المهلب أعور، فسمعه. فلما كان من الغد أخـــذ المهلب في كمه خمس مئـــة درهم، وأتـــى إلى الحيّ، وارتقب الغلام حتى رآه، فأتى إليه، وقال له:

افتح حجرك.

ففتح الشاب حجره، فسكب فيه الخمس مئة درهم.

وقال له:

خذ قيمـــة عمك المهلب، والله، يا ابن أخي، لو قومتني بعشـــرة آلاف دينار لأتيتك بها.

فســـمعه شـــيخ من أهل الحي، فقال:

والله ما أخطأ من جعلك سيداً".

(صفحة ٥٩).

أبو ضمضم:

وختام هذا مسك:

"رُوي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

أيعجـــز أحدكـــم أن يكون كأبي ضمضم؟

قالوا وما أبو ضمضم؟

قال: رجل، فيمن كان قبلكم، إذا اصبح يقول:

اللهـــم إني تصدّقت بعرضي اليوم على من ظلمني".

خذ بيدي

ذكرت في "وسم على أديم الزمن" ما كتبه معالي الأستاذ الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي - رحمه الله - عن رسالة وردته من ابن الشاعر إبراهيم العريض، من البحرين، يقول إنه وجد بين أوراق والده إبراهيم ورقة فيها هذه الأبيات:

يارب لا تبقني إلى زمن
أكون فيه كلا على أحد
خذ بيدي حتى لا أقول لمن
ألقاه عند القيام خذ بيدي

واحتار ابن الشاعر هل هذه الأبيات لوالده، أو إنه استشهد بها، وبقيت الحيرة معه ومع

معـــالي الدكتور غازي – رحمه الله – ومعي، إلى أن قـــرأت بعض الكتـــب في إجازة عيد الأضحى، لهذا العام (١٤٣٣هـــ/٢٠١٢م)، فعثرت في أحدهـــا على النص في كتاب من العصر العباســـي فيه هذان البيتان، ووعدت نفسي أن أعود إلى الكتاب، بعد أن انتهي مما أنا فيـــه، وكنت حينئذ أتتبع بعض النصوص عن الأصمعي، ولعلي أرجعت الكتاب مع ما أرجعت، وأرجو أن أجد الكتاب قريباً، بعد أن أنتهي مما أنا بصدده.

وحتى ذلك الحـــين أورد نصاً عن مؤلف هذين البيتين، ساعدني على العثور عليه معالي الأخ الحبيـــب الدكتور مطلـــب بن عبدالله النفيسة، وزير الدولة وعضو مجلس الوزراء،

وهـــو جاري في مبنى أمانـــة مجلس الوزراء، ومكتبي بجانب مكتبـــه. والمعلومات المتوفرة هي:

إن هذين البيتين للفقيه الأديب أبو الحسن محمد بن علي بن عمر، الفقيه الشافعي، الذي غلب عليه الأدب والشعر، واشتهر بذلك.

وعرف بابن أبي الصقر، وقد ولد في ســـنة (٤٠٩هـــ) في واســـط، وهي مدينة أنشأها الحجاج بن يوسف بين البصرة والكوفة، ودرس على كبـــار علمائها، وعلى علماء البصرة في النحو، وعلى علماء بغداد فيما بعد.

وكان ابـــن أبي الصقر شـــديد التعصب للمذهـــب الشـــافعي، وله قصائـــد تدعى الشافعيات، وله أبيات ورّى فيها عن مذهب

مالك، نسوقها لطرافتها:

"قصد ابن أبي الصقر مـــرة الوزير، نظام الملك، فمنعه البواب، فكتب إليه:

لله درّك إن دارك جنّـــة
لكن خلف بابك منها مالكا
هذا نظام الملك ضدّ المقتضى
إن كان يروي عن جهنّم ذا لكا
أنعم بتيســـير الحجاب فإنني
لاقيت أنواع الثكال هنالكا
مالي أصادف باب دارك جفوة
وأنا غـــني راغب عن مالكا؟

فأذن له نظام الملك، وقال:

إذا كنت غنياً عن مالنا فانكفي!

فقال: كلانا شافعي المذهب، وقد جئتك

لمذهبك لا لذهبك.

واتجه في آخر عمره إلى التأمل في الحياة، وقال في وداع الكهولة، واستقبال الشيخوخة:

كنت إذا ترقيت إلى سنّ أعمل أبياتاً، فلما بلغت الستين قلت:

بعد ستّينَ وستٍّ
كلما زدتُ نقصْتُ
أي فخر في حياة
بعناء؟ ليت متُّ

ولما بلغ السبعين، قال:

إن ابن سبعين عاما
ما بين سبعين يمشي
للصبح منه غداء
وللعِشاء تعشي

ولما بلغ الثمانين قال:

وقائلة لمّـــا عُمِّرتَ وصار لي
ثمانون حولاً عِش كذا وابق واسلم
ودم وانتشق روح الحياة فإنه
للطيبِ من بيت بصعدة مظلم
فما لم تكن كَلاًّ على ابن وغيره
فلا تك في الدنيا كثيرَ التبرّم
فقلت لها: عذري لديك ممهّد
ببيت زهير فاعلمي وتعلّمي
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولاً لا أبالك يســـأم

وله ديوان، كما ذكر، يبلغ مجلدا معظمه في الشـــيخوخة والضعف الـــذي يصحب الشـــيخوخة ومنه البيتان الآتيان، وهما بيت

القصيد في هذا الموضـــوع. ولا يختلف عما رواه معالي الأستاذ الدكتور غازي القصيبي عما حدثه به ابن الشاعر الكبير – رحمه الله – إلا في كلمة واحدة هي "لا تحيني"، وفي رواية الدكتور غازي "لا تبقني": وكلمتي: "قبل أن أقول"، وفي روايـــة الدكتور غازي "حتى لا أقول" والمعنى واحد. وكذلك الوزن.

يـــارب لا تحيـــني إلى زمن
أكـــون فيـــه كلاّ على أحد
خذ بيـــدي قبل أن أقول لمن
ألقاه عند القيـــام خذ بيدي

كان معـــالي الدكتور غـــازي – رحمه الله – حائراً في هذين البيتين، مثل ابن الشـــاعر الكبير، إبراهيم العريض، هل هما لوالده. أو

أن والده اقتبسهما لمّا أعجب بهما، وقد يكون ذلك في آخر عمره، بعد أن دخل في مرحلة الكهولة - رحمه الله.

والآن لا سبيل لغازي في معرفة الحقيقة التي اتضحت الآن، بعد سنوات من سماعه لها - رحمه الله - وإذا فات أن يعرف غازي تلك الحقيقة فعلى الأقل يحق أن أوافي ابن الشاعر الكبير - رحمه الله - بها، وأرجو أن أتمكن من بعث نسخة من الكتاب عند صدوره، حتى يكون في الصورة التي ظهرت الآن.

وقد قاربت النبذة التي عن ابن أبي الصقر على الانتهاء، فمن المفيد أن أكمل بعض الحقائق عنه لتكمل صورته في آخر عمره، وتركيزه أحياناً على امتداد العمر، والمعاناة

بسببه. وتأتي عباراته بديعة وقوية، لأنه كان يعاني كثيراً، وهو شاعر مجيد في وصف شعوره لما كبر، وتقدم في السن، وصار يمشي متوكئاً على عصا، فوصف نفسه بهذين البيتين:

كل امـــرئ إذا تفكّرت فيه
أو تأمّلتـــه رأيـــت ظريفـــا
كنت أمشي على اثنتين قويا
صرت أمشي على ثلاث ضعيفا

(معجم الأدباء: ١٨/٢٥٨).

ومع مرور الســـنين تدهور سمعه وبصره، وأصبح حاله يرثى لها، وأصبحت معيشـــته صعبة، أنجدته ملكته الشعرية، بما يلي:

بعـــد ثمـــان وثمانـــين
في مسكني قد صرت مسكينا

لا أسمع الصوت ولا
أثبت الشخص، فلا بُلِّغت تسعينا
ويرحم الله إمرءا
يسمع قولي، قال: آمينا

وقد توفي قبل أن يصل التسعين كما تمنى، أو استجابة لمن يقبل الله دعاءه ممن قال "آمينا".

رحمه الله تعالى فأمله في الله قوي، وها هو يبدي ذلك في هذين البيتين:

ولما إلى عشر تسعين صرت
وما لي إليها أب قبل صارا
تيقّنت أني مستبدل
بداري داراً وبالجار جارا
فتبت إلى الله مما مضى
ولن يدخل الله من تاب نارا

(معجم الأدباء: ١٨/٢٦٠).

ويستمر في شعوره بالكبر وما يأتي منه، وكل شيء يذكره بالضعف، فيتقرب إلى ربه أكثر وأكثر، وينفث شعراً تجاه الكبر:

علة سميت ثمانين عاما
منعتني للأصدقاء القياما
فإذا عُمِّروا تمهد عذري
عندهم بالذي ذكرتُ وقاما

(معجم الأدباء: ١٨/٢٥٩).

ويشير إلى وهن كل أعضائه فيقول:

إن أبي الصقر افتكر
وقال في حال الكبر
والله لولا بولة
تحرقني وقت السحر

لمـــا ذكـــرت أن لي
مـــا بـــين فخـــذي ذكـــر

(معجم الأدباء: ١٨/٢٥٩).

وله ترجمة في الجزء الثامن عشر من معجم البلدان من (ص: ٢٥٧-٢٦٠) وجاء فيها أن مولده في ذي القعدة سنة تسع وأربع مئة، وتوفي يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمان وستين وأربع مئة.

الفهارس

١) فهرس المواضيع
٢) فهرس الأسماء
٣) فهرس الأماكن
٤) فهرس الآيات
٥) فهرس الأشعار
٦) فهرس المراجع

(١) فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
ثلاثة قناديل	٤٣
الأصمعي	٤٦
حديث الأصمعي والرشيد والجارية	٤٧
حديث الأصمعي والفتى الثقفي	٥٢
وفاء المرأة السلمية	٥٧
في أخبار النساء	٦٠
الصمت حِداداً	٦١
قصة المهدي والعاشق	٦٢
عن الكريم المحتجب	٦٦
من جود طلحة الطلحات	٧٠
تعريف القِرى	٧٣
المال أغلى	٧٥
مدى مبلغ الحَسد	٧٧

تصحيح خطأ ٧٩
ضلاعة الأصمعي في اللغة ٨١
عن سياسة عمر ٨٢
فضل الإسلام ٨٣
يا سالم ويا يسار ٨٥
كلام الإلغاز ٨٦
جمع اللغة في ثلاث ٨٧
النسك الأعجمي ٨٩
سقط على الخبير ٨٩
إكرام النفس ٩١
كرم وراء حجاب ٩٣
عجيزة بعجيزة ٩٦
سؤال وجواب ٩٨
العلماء والاسناد ٩٩
الوضع في الشعر والأدب ١٠٠
وصف لحيوان الركوب ١٠٢
أهمية البغال ١٠٣
يا ذا الجلال والإكرام ١٠٥
لسان سؤول ١٠٦

وصف البرد ١٠٧
أقوال من ذهب ١٠٨
تعبير حلم ١٠٩
الصلاة على الميت ١١٠
الطفاوة وبنو راسب ١١٢
الأصمعي والطيرة ١١٣
صدق أو لا تصدق ١١٥
يا أصمعي لقد أبعدت ١١٦
هل الأصمعي قال هذا؟ ١١٨
نادرة ١١٩
قوة حجة ١٢١
رمية من غير رام ١٢٢
عقوق الوالدين ١٢٣
الأصمعي والرشيد ١٢٥
كيف مات ١٢٨
يُفَرِّق طعماً عن طعم ١٣١
مسقط حكمة ١٣٢
الأصمعي والفتنة ١٣٣
الأصمعي يكشف نحل الأقوال ١٣٥

أعرابي يستجدى ١٣٧
أعرابية تستجدي ١٣٨
عن الزوجات ١٣٩
نصيحة أم ١٤٠
يأمر وينهى ١٤٣
السّخينة ١٤٤
السويق مع الحزن ١٤٥
أبو جعفر وسوار ١٤٦
المال والبنون ١٤٧
طرد الحيرة ١٤٨
إهمال الرد على السّفيه ١٤٩
تجاهل الشتم ١٥٠
جمال العبارات ١٥١
عن اللباس ١٥٢
دَرَسَ وأهملنا ١٥٣
المشيب والشعر ١٥٤
السكوت ١٥٥
أسير الكلمة ١٥٦
الاتباع ١٥٧

قوة بني يربوع ١٥٨
جواب السؤال ١٥٩
روعة، روعة، روعة ١٦٠
عقاب ولا عقاب ١٦٥
لا فُضَّ فوها ١٦٨
درس نحو متكامل ١٧٠
ظالم ومظلوم ١٧٠
من ذَمِّ المزاح ١٧١
إرشاد وتنبيه ١٧٣
تعريف العشق ١٧٣
العشق وعهوده ١٧٥
نظرة في الشعر ١٧٦
صيد الحكمة ١٧٧
حكمة أعرابية ١٧٨
الأصمعي والشعر ١٧٨
مجالس فكر ١٧٩
شَمُّ الأطفال ١٨١
المنى والحلم ١٨٢
إذا نزل القدر ١٨٣

نجاة بموت ١٨٤
الرفق ممدوح..... ١٨٦
لا تتذمر ارحل..... ١٨٧
حسن الجوار..... ١٨٨
بشاعة كفر المعروف ١٨٩
إعط القوس باريها ١٩٠
الاتجاه إلى الله ١٩٠
الوفاء بالدين ١٩١
الفصاحة جذابة..... ١٩٢
حكم الهوى ١٩٣
كانوا وكانوا ١٩٤
قبول النصيحة..... ١٩٥
تفسير حلم ١٩٦
أعرابي يحاذر الكذب ١٩٧
مائدة متكاملة ١٩٨
روح المرح ١٩٩
دعاء مبتكر..... ٢٠١
منطق لا غبار عليه ٢٠٢
المنطق الحسن..... ٢٠٣

الآمال للإنسان ٢٠٤
الحرص على الإخوان ٢٠٥
الأصول والفروع ٢٠٦
سبب نحول الجسم ٢٠٧
حال جدب ٢٠٨
رأي أعرابي ٢٠٩
الإيمان بالموت ٢١٠
ضرب بضرب ٢١١
محاجاة ٢١١
الندى ابن الندى ٢١٥
وصف حال ٢١٦
شيء من التطفّل ٢١٧
مع أعرابية ٢١٩
المهّم المَخْبَر ٢٢١
الفخر بالقبيلة ٢٢٢
في الخطوة الأولى جرأة ٢٢٧
القول والفعل ٢٢٨
بُعد المَرامي ٢٢٩
أمر غير متوقع ٢٣١

الأمر يحتاج إلى حساب ٢٣١
العِيّ الأكبر ٢٣٢
دعاء من القلب ٢٣٣
مفاخرة كاذبة ٢٣٤
الأصمعي تغلبه امرأة ٢٣٦
علوم الأصمعي ٢٣٨
نقاش في كلمة "محرماً" ٢٣٩
الأصمعي وغريب اللغة ٢٤٠
أول معرفته بالرشيد ٢٤١
من أدب الخلافة ٢٥٠
الأصمعي يزيل لبساً ٢٥٢
انقطعت الهدية بانقطاعه ٢٥٣
معرفته بالخيل ٢٥٤
صفاء ذهن الأصمعي ٢٥٧
رأي بعض معاصريه فيه ٢٥٩
تقوى الأصمعي ٢٦١
ثناء على الأصمعي ٢٦٢
فقده ٢٦٤
أبيات في رثائه ٢٦٥

عامر الشعبي ٢٦٧
إقرار بالخطأ ٢٦٨
تربية الصحراء ٢٧٤
تقسيم العلم ٢٧٦
أين يجلس الإنسان؟ ٢٧٧
الخِلال الثلاث ٢٧٩
الشعبي يسخر ٢٨١
أيكما الشعبي؟ ٢٨٣
المسح على اللحية ٢٨٣
حك البدن للمحرم ٢٨٥
فصاحة الشعبي ٢٨٥
هتك الستر ٢٨٩
الثقة بالنفس ٢٨٩
إن كنت صادقاً ٢٩١
رسول إلى ملك الروم ٢٩٢
درس للشعبي ٢٩٥
الدرس الثاني ٢٩٧
فتوى ٢٩٨
حسن منطق ٢٩٩

مع اللغة ٣٠٠
عمق فكري ٣٠١
قول لمعاوية ٣٠٢
الشعبي يُستشار ٣٠٤
ما وراء الهدية ٣٠٦
سؤال وجواب ٣٠٧
البيضة والصخرة ٣٠٨
عدل عمر ٣١٠
خطوات للقضاء ٣١١
لا أدري ٣١٢
الشعبي وصاحب الحجامة ٣١٣
الرجوع إلى الحق ٣١٥
دعاء ملكي ٣١٥
الغضب كالنار ٣١٦
سياسة في التربية ٣١٧
دعاء عليه ودعاء منه ٣١٩
الشعبي وعمق التفكير ٣٢١
خطأ متكرر ٣٢٢
تفسير أحلام ٣٢٣

السعي للعلم ٣٣٢
غباء وجهل ٣٣٣
باب في السُّنَّة ٣٣٤
اختيار الرجال ٣٣٤
قول ينقذ رقبة ٣٣٦
تعليق على قول ٣٣٨
الكبائر ٣٣٨
تأنيبٌ لباهلة ٣٣٩
اختيار بيت ٣٤٠
يحدث عن ربه ٣٤١
توسد يده ونام ٣٤٢
مصائد العقول ٣٤٣
الإقدام والوعد ٣٤٣
حْزم السفهاء ٣٤٥
إذا عضه كلب غنم ٣٤٦
متى يكون الشخص ضامناً ٣٤٧
فكرة نبيلة ٣٤٨
من الفتاوى ٣٤٩
المستعير والمستودَع ٣٥٠

طبائع الناس ٣٥٠
الجزاء من جنس العمل ٣٥١
يهزأ الشعبي مرة أخرى ٣٥٢
عمق في الفكر ٣٥٣
الناس والزمن ٣٥٣
ملاحقة وهروب ٣٥٤
سلّم الوصول إلى الغاية ٣٥٥
الأعمش ٣٦١
أقوام وأقوام ٣٦٢
مع اللغة ٣٦٣
قول الأُذُن ٣٦٤
ضرب الجمّال ٣٦٥
نظرة ونظرة ٣٦٦
الصلاة خلف الحائك ٣٦٧
دعوة على سمك ٣٦٨
فروة الأعمش ٣٧٠
ما الهبر ما الهبر؟ ٣٧١
احذروا الجواب ٣٧٢
جُبّة ضيقة الكُمين ٣٧٣

القميص المقلوب ٣٧٥
ذكاء سارق ٣٧٦
بطة سمينة ٣٧٧
المؤذن مؤتَمن ٣٧٨
يضحك تعجباً ٣٧٩
صلف الأعمش ٣٨٠
ثقيل الظل ٣٨١
وجهاً لوجه ٣٨١
اصفعوا الشيخ ٣٨٣
بُعد الأعمش عن المعتاد ٣٨٣
خطباء عبدالقيس ٣٨٤
جفاف الطبع ٣٨٦
ما ردُّ الأعمش؟ ٣٨٧
قَبَس ثم انطفأ ٣٨٨
قناعة لم تكن ٣٩٠
اسم امرأة إبليس ٣٩١
من مظاهر الكرم ٣٩٥
الحسن والحسين ٣٩٦
كرم وكرم ٤٠٦

تقدير الجوار ٤٠٨
الجار كاد أن يورث ٤١٠
كرم ابن كريز ٤١٢
أبو دلف وكرمه ٤١٣
ضياء الحلم ٤١٩
للسفيه مقام ٤٢١
حلم معاوية ٤٢٣
نبل المهلب ٤٢٨
أبو ضمضم ٤٣٠
خذ بيدي ٤٣٢

(٢) فهرس الأسماء

الاسم — الصفحة

(أ)

أبا حازم ٢٢
أبا سفيان ..... ٨٤، ٩٧
إبان بن تغلب ١٤٠
إبراهيم (خليل الله) ١٢١
إبراهيم بن صالح ١٣٢
إبراهيم الحربي ٢٦٣
إبراهيم العريض ..... ٤٣٢، ٤٣٨
إبراهيم النخعي ..... ٣٦٦، ٣٦٧
إبليس ..... ٣٩١، ٣٩٢
ابن أبي الزناد ١٨٣
ابن أبي الصقر ..... ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٤٢
ابن أبي ليلى ٣٨٦
ابن أبي نجيح ٢٦٢

ابن الأشعث ٢٨٦
ابن بكير النحوي ٢٥٧
ابن الحر ٣١٩
ابن خيشمة ٢٦٤
ابن دأب ..... ١٠١، ١٠٢، ١٣٥، ١٣٦
ابن رغبان ٢٠٣
ابن زيد ٢٢
ابن سليمان ١٢٩
ابن شبرمة ٣١٥
ابن عبد ربه ٧٦
ابن عرباض ١١٢
ابن عمر ..... ٢٧، ٢٨
ابن عياش ٣٧١
ابن غياث ٣٠٣
ابن قتيبة ..... ٨٢، ٣٠٧
ابن القرية ٣٠٩
ابن الكلبي ١٠١
ابن لبيد ١٠٤
ابن مضاء ١٩٧

أبو بكر الصديق ١٨
أبو بكر الهجري ٧٦
أبو البلاد ٢٦
أبو بيهس الخارجي ١١٨
أبو حاتم ..... ٨٥، ١٤٤، ١٨٣
أبو الحسن المدائني ..... ١٠١، ٣٩٦
أبو حنيفة ٣٨١
أبو داود ٢٦٤
أبو الدرداء ٢٠
أبو دلف ..... ٤١٣، ٤١٤
أبو جحش ٢١١
أبو ضمضم ..... ٤٣٠، ٤٣١
أبو العباس الشيباني ٤١٤
أبو العباس بن المبرد ..... ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٤
أبو عبيد ١٨٨
أبو عبيدة ..... ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨
أبو عوانة ٣٧٨
أبو العيناء ..... ١٠٠، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٥٥
أبو مخيف ١٠٠

أبو معاوية الضرير ٣٨٨
أبو وائل ٣٩٠
أبو مياس ..... ٦٣، ٦٤، ٦٥
أبو نصر أحمد بن حاتم ١٨٤
أبو هاشم ٣٨٤
أبو يعلي ١٧٩
أبي جعفر المنصور ..... ٧٥، ٧٦، ٧٧، ١٤٦، ١٤٧
أبي خارجة ١٣١
أبي ذؤيب الهذلي ..... ١٣٢، ١٣٣
أبي زيد ٢٥٤
أبي صالح ٣٧٩
أبي عاصم ٣٠٤
أبي عمر بن العلاء ..... ١٨٤، ٢٦٣، ٣٦٤
أبي هريرة ٣٧٩
الأتباع والمزاوجة ١٥٧
أحمد بن عبيد ١٧١
أحمد بن أبي عمران ١٨٤
الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ٢٦٣
أحمد بن محمد بن فضل الأهوازي ٣٠٣

الأحنف بن قيس ... ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٧٧، ٢٧٥، ٢٧٦، ٤٢٠، ٤٢٧
أخبار الحمقى والمغفلين ... ١٥، ١٦، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٥، ٥١
أخبار الظراف ..... ٨٨، ٩٩
أخبار القضاة ..... ١٤٠، ٣٠٧
أخبار النساء ٤٧
الأخطل ..... ٢٢٧، ٢٦٩
الأخفش ٢٣٨
أداب الملوك ..... ٩٠، ٣٢٣
أدب الدنيا والدين ٢٧٧
آدم ..... ٩١، ٢١٢
الأذكياء ..... ٨٨، ١٧٠
إسحاق بن إبراهيم ٣٠٣
أسامة بن زيد ١٩
إسماعيل بن زياد ٢٦
الإشراف ..... ٣٠٧، ٢١٥
الأصمعي (أبو سعد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك) ٢٤، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٧، ٦٠، ٦١،

٦٢، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨١،
٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦،
٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧،
١٠٩،١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٨،
١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨،
١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨،
١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩،
١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩،
١٦٠، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤،
١٧٥، ١٧٦، ١٧٨،١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣،
١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣،
١٩٤، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤،
٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦،
٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٢،٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤،
٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٥،
٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦،
٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٤،
٣٤٣، ٤٣٣
أعشى همدان ١٣٦

الأعشى ..... ١٦٧، ٢٢٩
الأعمش (أبو محمد سـليمان بن مهران الكاهلي) ٢٦، ٢٧، ٣٩، ٤١، ٤٣، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٣
الأغاني ..... ١١٥، ١١٨
آل أبي طالب ..... ٤١٥، ٤١٦
آل خالد ٤١١
أم جعفر ..... ٢٥٢، ٢٥٣
أم عقيل ١٦٢
أمير عفيف ١٩٧
الأمين ٢٤١
الأنصار ١٤١
أي بني ١٦

(ب)

البخلاء ١٠٩
بدر الدين الغزي ٢٩
بشار بن برد ..... ١٣٣، ١٣٤

بشر ٤١٥
البصائر ..... ٩٢، ١١٩، ١٤٧،
١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨،
١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨،
٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧،
٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧،
٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢،
٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢،
٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨١،
٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٩
البصائر والذخائر ٢٨٩
كتاب البغال ..... ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١١٠
البغدادي ١٠٩
بنو راسب ١١٢
بنو يربوع ١٥٨
بني وائل ١١٤
بني أمية ٢٠٥
بني بغيض ٢٢٤
بني تميم ..... ٢٠٠، ٣٥٢

بني ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة..... ٢٢٣
بني عيسى ٢١٦
بهجة المجالس ١٥٦، ١٥٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ٢٧٩، ٣١٠، ٣١٤، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٧٣، ٣٧٨
البيان والتبيين .....٨٩، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٥

(ت)

تميم بن سلمة ٣٧٤

(ث)

الثعالبي ..... ١١٥، ١٧٧

(ج)

الجاحظ .....٨٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٩، ١١٠، ١٧١
الجرمي (المعبر) ١١٠
جرير بن جازم ١٠٤
جعفر بن يحيى بن خالد ١٦٥
جعفر بن سليمان ١٩٢
جلواء ٢٦٨
الجليس الصالح ..... ١٦٤، ١٦٧
الجوهري ٣٠٤

جويرية بن أسماء ٨٣

(ح)

حاتم الطائي ٣٩٥
الحارث بن كلدة ..... ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦
الحجاج بن يوسف الثقفي .. ١٠٧، ١٨٥، ١٨٦، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٧١، ٤٣٣
الحسن ١٩، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥
الحسين ..... ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٠٥
الحسن بن سهل ٢٥٧
حفص بن غياث القاضي ٣٦٥
حماد بن سلمة ٢٤
حمير ٢٦٧
حنيش ٣٠٥
حنظلة ..... ١٧، ١٨
الحيوان ٨٦

(خ)

خاص الخاص ١٧٧
خالد بن عبدالله ٢١٥

خالد بن عقبة ٤١١
خلف ٢٣٨
خليج ١٢٥
الخليل بن أحمد ٢٦٣
خميصة بن قارب ٢٢٤
خنيش ٣٠٥

(د)

داود بن الزبرقان ٣٨٠
دغفل النسابة ١٠٦

(ر)

ربيع الأبرار ..... ٩٤، ١٠٥، ١٠٧، ١١٢، ١١٤، ١٥٢، ١٥٣، ٣١١، ٣١٦، ٣١٨، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٤
الربيع بن زياد الحارثي ٣٣٦
الربيع بن سليمان ٢٦٠
الرسائل الكمالية في الملح واللطائف ٢٩
الرقاشي ١٩٠
رقبة بن مصقلة ٣٨٥
الرياشي ..... ٨١، ٨٥، ٩٦، ١٠٦، ١٨١، ٢٦٠

(ز)

الزبير بن الخريت ١٠٤
الزهري ..... ٢٠، ٢١
زهير ٤٣٧
زياد ..... ١٠٤، ١٤٣، ١٨٠، ٣٥٥، ٣٥٧
زياد بن أبيه ٩٧
زيد بن علي ٣٨٧

(س)

سالم ٨٥
سجستان ٣٣
سحيم ٨٧
سراج الملوك ٢٨٠
سران (عم الأصمعي) ٨٢
سعيد بن العاص ..... ٤٠٩، ٤١٠
سعيد بن مسلم بن قتيبة ١١٣
سعيد بن المسيب ٨٩
سفيان بن عيينة ٢٦٢
سلمان ٣٩٠
سليط ١٥٨

سليمان بن المهلب بن أبي صفرة ..... ٦٠، ٦١
سليمان بن عبدالملك ٦٠
سوار ..... ١٣٩، ١٤٦، ١٤٧
سيار أبو الحكم ..... ١٥١، ١٥٢
سيبويه ٢٦٠

(ش)

الشافعي ..... ٢٦٠، ٢٦٤
شبيب بن شيبة ١٨١
الشرقي بن القطامي ..... ١٠١، ١١١
شريح ..... ١٤٣، ٣١٢، ٣٧٤
شريك بن عبدالله النخعي ٣٨٢
شعبة ٢٢
الشماخ ١٢٦
شمس الدين المقري ..... ٣٩٦، ٤٠٨، ٤١٩
شوكر ١٠١
شيبان ١٨٩

(ص)

صفين ٢٧٣
الصحاوي ١٨٤

(ض)

ضرار بن القعقاع ٩٤

ضمرة بن بكر بن عبدمناف بن كنانة ٢٢٣

(ط)

الطفاوة ١١٢

طلحة بن الحسن بن علي (طلحة الخير) ٧٢

طلحة بن عبدالله بن عوف (طلحة الندى) ٧٢

طلحة بن عبيدالله (طلحة الفياض) ٧٢

طلحة بن عبيدالله بن خلف الخزامي (طلحة الطلحات) . ٧٠، ٧١، ٧٣، ٩٤

طلحة بن عمر بن عبدالعزيز التميمي (طلحة الجود) ٧٢

(ع)

عائشة (رضي الله عنها) ١٠١

عاتكة ..... ٢٤٣، ٢٤٥

عامر الشعبي (ابو عمرو عامر بن شراحيل بن عيد بن ذي كبار الشعبي) ٤١، ٤٣، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢،

٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١،
٣٢٢، ٣٢٤، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩،
٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩،
٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٩٢، ٣٩٤
عباد بن أخضر ١١٦
عبدالرحمن بن عبدالله بن سابط ٣٢١
الشيخ الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي . ١٥، ٢٥،
٢٦، ٢٧، ٣٢، ٣٣، ٤٧، ٥١
أبي القاسم عبدالرحمن الزجاجي ٢٦٨
عبدالرحمن بن عوف ..... ٨٢، ٣٣٥
عبدالله بن عباس ..... ٢٠، ٢٨٠، ٢٨١
عبدالله بن عبدالرحمن القعقاعي ..... ٩٣، ٩٥، ٩٦
عبدالله بن جعفر ..... ٧١، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٦، ٤٠٧
عبدالله بن الزبير ..... ٤٢٤، ٤٢٦
عبدالله بن عامر بن كريز ..... ٤١١، ٤١٢، ٤١٣
عبدالله بن عمر ٤٢١
عبدالله بن مسعود ٣٦٣
عبدالله بن المقفع ..... ٢٣٢، ٢٣٣
عبدالعزيز بن محمد الشافعي ٣٠٣

عبدالقيس ..... ٣٨٤، ٣٨٥
عبدالملك بن مروان ١٢٤، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٢
عبيدالله بن أبي بكرة ..... ١٦٨، ١٦٩
عبيدالله بن عائشة ٢٣
عتيبة بن الحارث ١٥٨
عثمان البتي ١٩٤
عثمان بن عفان .....٢٦٧، ٣٨٨، ٣٨٩
عدي بن حاتم ٣٧٣
العسكري ..... ٣٠٤، ٣٠٥
العصر العباسي ٤٣٣
عطاء بن السائب ٣٢١
عطاء بن يسار ٢٢
عطاء الملط ١٠١
العقد الفريد ..... ٧٦، ٧٧، ٨٦، ٩٧، ٢٧٥، ٢٩١، ٣٦٧
عقيل ..... ١٦٢، ١٦٤
العلاء بن جر ١٧٧
علقمة ..... ١٧٦، ١٧٧
علي بن أبي طالب .....١٨، ٣٨٨، ٣٨٩

علي بن جبلة ٤١٤
علي بن عبدالرحمن بن هذيل الغزاوي الغرناطي ٣٣٢
علي بن المديني ٢٦٣
علي الكسائي ..... ٢٣٩، ٢٤٠
عمر بن الخطاب ٨٢، ٨٣، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١٢، ٣٣٥، ٣٤٨
عمر بن ذر ١٥٠
عمر بن شبه ..... ٢٣٨، ٣٠٤
عمر بن هبيرة الفزاري ..... ٢٩٩، ٣٣٧
عمرو بن العاص ٣٧٣
عمرو بن الإطنابه ٣٥٩
عمرو بن العلاء ٨١
عمرو بن مرزوق ٢٦٠
عوانة ١٠٠
عيسى بن عمر ٢٣٥
عيسى الخياط ٣٣٢
عيسى بن موسى ٣٨٦
عيون الأخبار ..٨٢، ٨٣، ١١٨، ١٢٥، ١٢٨، ١٣١، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٨،

٣٠٧، ٣١٨، ٣٢٢٠، ٣٢٢، ٣٦٦، ٣٧٦

(غ)

غازي عبدالرحمن القصيبي ..... ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٨، ٤٣٩

(ف)

الفالوذج ١٢٦

الفرزدق ٢٥٤

فرعان التميمي ١٢٤

الفضل بن الربيع ..... ٩٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٥

(ق)

قريش ..... ١٤٥، ٣٩٨

القشعم ١٤٠

قيس بن عاصم ..... ٢٧٦، ٤٢٠، ٤٢٧

قيس عيلان ..... ٤٦، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦

(ك)

الكامل ١٢٠

كسرى ..... ٢٣٩، ٢٤٠

الكشكول ..... ٧٩، ١٢٣، ٢٨٩، ٣٦١، ٣٦٨

الكلبي ١٠١

(ل)

لبيد ١١٤
لطائف اللطف ١٢١
اللطائف والظرائف ١٣٥
لقيط المحاربي ١٠١
لمازة بن زبار (ابن لبيد) ١٠٤

(م)

مالك ٤٣٥
مالك بن دينار ..... ٢١، ٧٨، ١٥١
مالك بن هبيرة السكوبي ١٥٩
المأمون ..... ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٢٦٥
المبرد ١٢٠
المتوكل ١٨٦
مجالس ثعلب ..... ١٠٨، ١١٥، ١٥٤
مجالس العلماء ..... ٨٢، ٢٦٨، ٣٦٣
مجالد ٣٣٥
مجاهد ٢٦٢
المحاسن والمساوئ ٩٤
محاضرات الأدباء ..... ٢٧٩، ٢٩٠

محمد ٢٥٠
محمد بن إبراهيم ٢٦٣
محمد بن أبي العتاهية ٢٦٥
محمد بن إسحاق ..... ٢٠، ٢١
محمد بن الجهم ٤٠٩
محمد بن حرب الزيادي ١٨٠
محمد بن عبدالرحمن ١٤١
أبو الحسن محمد بن علي بن عمر الفقيه الشافعي ٤٣٤
محمد بن عمران التميمي ٢٤
محمد بن عمير ٣٥٢
محمد بن القاسم ٣٦٩
محمد بن هبيرة ٢٣٩
محمد (عليه الصلاة والسلام) ..... ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٦، ٢٨، ٨٥، ١٨٨، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣١٢، ٣٤٦، ٣٦٣، ٣٧٩، ٤١٦، ٤١٧، ٤٣١
المختار من نوادر الأخبار .....٦٥، ٣٩٦، ٤٠٨، ٤١٨، ٤١٩
المراح في المزاح ٢٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٩١، ٣٩٢
مروان بن محمد ٢٠٣

المريد النحوي ٢٢
مزرد ..... ١٢٦، ١٢٧
مسروق بن الأجدع ١٤٣
مصعب بن الزبير ٤٠٣
المصون في الأدبي ..... ٣٠٤، ٣٠٥
مطلب بن عبدالله النفيسة ٤٣٣
معاوية بن أبي سفيان ٧٨، ٩٦، ٩٧، ١٤٤، ١٤٩، ١٦٠، ٢٢٧، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٥٨، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦
معتمر بن سليمان ١١٥
معجم الأدباء ..... ١٠٠، ١٣٥، ١٣٧، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٣،
معجم البلدان ٤٤٣
مقالات الأدباء ومناظرات النجباء ٣٢٢
المقري ٧٥
ملك الروم ..... ٢٩٢، ٢٩٥
منازل ١٢٤
المنتقى ٢٨٧
المنتقى من أخبار الأصمعي ٨٣
المهدي ..... ٦٢، ٦٤، ٢١١

المهلب بن أبي صفرة ..... ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠
الموشى ..... ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤

(ن)

نافع ٢٨
نزهة الألباء ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٦
نزهة الألباب ٢٣٨
نصر بن علي الجهضمي ..... ١٨٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١
نظام الملك ٤٣٥
النعمان بن بشير ٣٤٥

(هـ)

هارون الرشيد ..... ٢٤، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٩٠، ١٢٦، ١٢٨، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣
هانئ بن عتبة ١١٣
الهرمزان ..... ٣١٠، ٣١١
الهذلي ٣٤١
هشام بن عبدالملك ٣٨٨
هلال بن الأسعر ..... ١١٥، ١١٦

همدان ..... ٢٦٧، ٢٦٨، ٤٢٩
هند بنت عتبة ..... ٨٤، ٩٧، ٣٥٩
هوازن ١٦٩
الهيثم بن عدي ..... ٢٧٥، ٣٠٣، ٣٣٥

(و)

وسم على أديم الزمن ..... ٣٢، ٤٣٢
وفيات الأعيان ..... ٢٨٧، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢
وكيع ٣٧٦

(ي)

يحيى بن معين ..... ٢٦٣، ٢٦٤
يزيد بن مرة ٢٣١
يزيد بن معاوية ..... ٤٢٥، ٤٢٦
يسار ٨٥
يونس بن حبيب ..... ٢٦٠، ٢٦٣

(٣) فهرس الأماكن

المكان — الصفحة

(أ)

الأبطح ٢٢٣
أمانة مجلس الوزراء ٤٣٤

(ب)

باهلة ..... ٣٣٩، ٣٤٠
البحرين ٤٣٢
البصرة ... ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٧٧، ٧٨، ٩٣، ٩٤، ١٦٨، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٤١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤٣٤
بغداد ..... ٤٦، ٢٤١، ٤٣٢
بني سليم ٥٧
بني ضبة ٥٧

(ث)

ثقيف ..... ٥٢، ٥٧
الثوية ٣١٩

(ج)

جبل الريان ١٢٤

جهينة الظاهرة ٣١٩

(ح)

الحرم المكي ..... ٢٧٣، ٣١٥

(خ)

خوزستان ٣١١

(د)

دمشق ٦٠

(ر)

الرقة ٢٤١

الربع المنحوت ١٢٩

(س)

السيل ١٢٩

(ش)

الشام ..... ٩٤، ٩٦، ٣٣٣

(ط)

الطائف ..... ١٢٩، ٣٥٦

(ع)

العراق ..... ٩٦، ١٠٤، ٢٥٧، ٣٥٨

عفيف ١٩٧

عنيزة ..... ٢٩، ٣٢

(ف)

الفرات ٩٤
الفرس ٣٧٢

(ك)

الكوفة ..... ٣١٢، ٣٦٤، ٣٧١، ٣٨٦، ٤٣٤

(م)

المدائن ٥٠
مدينة السلام ٢٤٩
المدينة المنورة ..... ٢٤، ٨٥، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٤
مصر ٢١٥
مكة المكرمة ..... ٣٢، ٨٤، ٨٥، ١٣٠، ٣٢١
منى ١٣٨

(ن)

نجد ٩٧

(و)

واسط ٤٣٤

(ي)

اليمن ..... ٢٣٢، ٢٦١، ٢٦٧، ٣٣٣

(٤) فهرس الآيات

الآية الصفحة

قال تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ المائدة ٣٨ ..... ٧٩

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة ٢٦٠ ..... ١٢١

قال تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ الكهف ٤٦ ..... ١٤٨

قال تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ{١٥٥} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ{١٥٦} أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ{١٥٧}﴾ البقرة ١٦٣

قال تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ الكهف ٦ ..... ٢٦٢

قال تعالى ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ سبأ ١٣ ..... ٢٧٠

قال تعالى ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة ٣٢ ..... ٢٩٠، ٣١٣

قال تعالى ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل ١٢٥ ..... ٣٨٣

(٥) فهرس الأشعار

الصفحة

(ب)

- كل يـــوم أدور في عرصـــة الحـــ
يّ أشـــم القتـــار شـــم الذئـــاب ٢١٨

- خطبـــت كمـــا لو كنـــت قبلها
لكانـــت بـــلا شـــك لأول خاطب ١٧٦

- تبرعـــت لي بالجود حتى نعشـــتني
وأعطيتـــني حـــتى حســـبتك بلعب ٢١٥

- فـــوالله يا ســـلمى لطـــال إقامتي
على غير شـــيء يا ســـلمى اراقب ٢٤٨

- محاســـنها ســـهام المنايـــا
مُريّشـــة بأنـــواع الخطـــوب ٢٤٧

- ليســـت الأحلام في حال الرضى
إنمـــا الأحـــلام في وقـــت الغضب ٣٠٢

(ت)

- كنا كغصنين من بـــان، غداؤهما
ماء الجـــداول في روضـــات جنات ٥٩

- يا صاحب القبر يامن كان يؤنسني
حيّـــا، ويكثـــر في الدنيا مواســـاتي ٤٩

- بعـــد ســـتين وســـت
كلمـــا زدت نقصـــت ٤٣٦

- إذا نطـــق الســـفيه فـــلا تجبـــه
فخـــير مـــن إجابتـــه الســـكوت ١٤٩

(ح)

- وقولي كلما جشـــأت وجاشـــت
مكانـــك تحمـــدي او تســـتريحي ٣٥٩

(د)

- يـــارب لا تحيـــني إلى زمـــن
أكـــون فيـــه كلا علـــى أحـــد ٤٣٨

- وأكرم نفســـي، إنـــني إذا أهنتها
وحقـــك، لم تكرم علـــى أحد بعدي ٩٢

- وإني للبّـــاس علـــى المقت والقلى
بـــني العم منها كاشـــح وحســـود ٣٤١

- إذا مـــات ميـــت مـــن تميـــم
فســـرَك أن يعيـــش فجـــئ بـــزاد ١٤٤

- بنفـــس من هـــواه علـــى التنائي
وطـــول الدهـــر مؤتنـــف جديـــد ٢٢٠

(ر)

- اســـتعجمت دار نعـــم ما تكلمنا
والـــدار لـــو كلمتنـــا ذات أخبار ٢٣

- ولما إلى تسعين صرت
وما لي إليها أب قبل صارا ٤٤١

- إن أبي الصقر افتكر
وقال في حال الفكر ٤٤٢

- سقى الله أياماً مضت لسن رُجّعاً
إلينا وعصر العامرية من عصر ٢٣٠

- تسمو الوفود إلى إمام عادل
معطى المهابة نافع ضّرار ٢٢٨

- وفي الممشى إليك عليّ عار
ولكن الهوى مَنَع الفرار ١٩٤

- جاورت شيبان فاحلولى جوارُهُم
إن الكرام خيار الناس للجار ١٨٩

(س)

- يا أيها السائل عن مترلي
نزلت في الخان على نفسي ٢٥

(ش)

- إن ابـــن ســـبعين عامـــا
مـــا بـــين ســـبعين يمشـــي ٤٣٦

(ص)

- تبيتون في المشـــتى ملاءاً بطونكم
وجاراتكـــم غرثـــى يبـــتن خمائصا ١٧٦

(ع)

- ألا قالت الخنســـاء يـــوم لقيتها
كبرت ولم تجزع من الشـــيب مجزعا ١٥٥

- والنفـــس راغبـــة إذا رغّبتهـــا
وإذا تـــرد إلى قليـــل تقنـــع ١٣٣

- ولمـــا غـــدت أمـــي تمـــير بناتها
أغرت على إليكـــم الذي كان يمنع ١٢٧

(ف)

- لا بـــارك الله فيمـــن كان يخبرني
أن المحـــب إذا مـــا شـــاء ينصرف ٢٢٠

- ولّج بـــك الهجـــران حـــتى كأنما
ترى الموت في البيت الذي كنت تألف ٢٥٤

- كل امـــرئ إذا تفكـــرتَ فيـــه
وتأملتـــه رأيـــت ظريفـــا ٤٤٠

(ك)

- لله درك إن دارك جنـــة
لكـــن خلـــف بابـــك منهـــا مالكا ٤٣٥

- ياغيـــاث البـــلاد في كل محـــل
مـــا يريـــد العبـــاد إلا رضـــاكا ٢٤٤

(ل)

- صبِّـــر النفـــس عنـــد كل ملمّ
إن في الصـــبر حيلـــة المحتـــال ١٨٥

- وابتعت ظبية بالغلاء وإنما
يعطى الغلاء لمثلها أمثالي ٦٥

- المرء يفرح بالأيام يقطعها
وكل يوم مضى نقص من الأجل ٢٠٥

- وإني إذا ما قلت قولا فعلته
ولست بمخلاف لقولي مبدل ٢٢٩

- فإياك، إياك المزاح فإنه
يجريء عليك الطفل والدنس النذلا ١٧٢

- ألا فتى أروع ذا جمال
من عرب الناس أو الموالي ١٣٧

- إذا كنت في دار يهنك أهلها
ولم تك مكبولا بها فتحوّل ١٨٨

- قتلوا ابن عفان محرما
ودعا فلم أر مثله مقتولا ٢٣٩

(م)

- تظلّمني مالي خليج وعقني
على حين كانت كالحِنّى عظامي ١٢٥

- علة سميت ثمانين عاما
منعتني للأصدقاء القياما ٤٤٢

- إذا الكريم له حجاب
فما فضل الكريم على اللئيم ٦٦

- يا أيها المضمر هما لا تهم
إنك إن تقدر لك الحمّى تُحمَ ١٨٣

- إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأي نصيح أو نصيحة حازم ١٣٤

- والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم ١٣٣

- النصح أرخص ما باع الرجال فلا
تردد على ناصح نصحا ولا تلم ١٩٦

- وقائلة لما عمِّرت وصار لي
ثمانون حولاً عش كذا وابلق واسلم ٤٣٧

- أسفت لفقد الاصمعي لقد مضى
حميداً له في كل صالحة سهم ٢٦٥

- إذا الكريم قليل مال
تستّر بالحجاب عن الغريم ٦٧

- أهل ودي ألا اسلموا
وقفوا كي تكلموا ٥٦

- سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولاً لا أبالك يسأم ٤٣٧

- الهمّ ما لم تمضه لسبيله
داء تضمّنه الضلوع مقيم ٢٠٨

- أأخي إن الحادثات
عركنني عرك الأديم ١٥٣

(ن)

- على كل حال يأكل القوم زادهم
على البؤس والبلـــوى وفي الحدثان ١٤٦

- فـــإن تســـألاني فيم حـــزني فإنني
رهينـــة هـــذا القـــبر يافتيـــان ٤٨

- فـــإن تســـألاني عن هـــواي فإنه
بملحـــود هـــذا القـــبر، يـــا فتيان ٦١

- ففـــي شـــفتي في موضـــع ترتعى
كما قد أبحتِ الطبل في جيدك الحسن ٢٤٧

- قتلـــوا كســـرى بليـــل محرمـــا
فتـــولى لم يتمتـــع بكفـــن ٢٣٩

- ولئـــن بعثـــت لهـــم بغـــا
ة مـــا البغـــات بواجدينـــا ١١٤

- بعـــد ثمـــان وثمانـــين
في مســـكني قـــد صرت مســـكينا ٤٤٠

(هـ)

- من رأي لي غزيلي
أربح الله تجارته ١٣٦

- وإني لمنجاز لما قلت، إنني
أرى وصمة أن يخلف المرء واعده ٢٢٩

- ما كنت وكواكاً ولا بزونك
رويدك حتى يبعث الحق باعثه ١١١

- ونُص الحديث إلى أهله
فإن الأمانة في نصه ٩٩

- جزت رحم بيني وبين مُنازل
جزاءاً لما يستنجز الدين طالبه ١٢٤

- لم أر مثل الرفق في لينه
أخرج العذراء من خدرها ١٨٧

- إنما الدنيا أبو دلف
بين باديه ومحتضرة ٤١٤

- يا بـــاري القوس برياً ليس تحكمه

لا تفســـد القوس إعط القوس باريها ١٩٠

(٦) فهرس المراجع

اسم الكتاب الصفحة

(أ)

الأتباع والمزاوجة..... ١٥٧

لأحمد بن فارس بن زكريا

تحقيق: محمد أديب عبدالواحد جمران

وزارة الثقافة السورية – إحياء التراث (٩٧).

أخبار الحمقى والمغفلين ١٥

لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي

لجنة إحياء التراث العربي

منشورات دار الأوقاف الحديثة

أخبار القضاة ١٤٠

لوكيع: محمد بن خلف بن حياه

عالم الكتب – بيروت

آداب الملوك ٩٠
لأبي منصور عبدالملك بن محمد ابن اسماعيل الثعالبي
تحقيق: جليل العطية
دار الغرب الإسلامي

أدب الدنيا والدين ٢٧٧
لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي
شرح وتعليق: محمد كريم راجح
دار اقرأ – بيروت – لبنان

الأذكياء ٨٨
لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي
لجنة إحياء التراث
دار الآفاق الجديدة – ذخائر التراي العربي – بيروت

الإشراف في منازل الأشراف ٣٠٧
لأبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا
تحقيق: نجم عبدالله خلف
مكتبة الراشد – الرياض

الأصمعيات.....؟؟؟
اختيار الأصمعي
لأبي سعيد عبدالملك
ابن قريب بن عبدالملك
تحقيق: أحمد محمد شاكر – عبدالسلام هارون
دار المعارف

(ب)

البصائر والذخائر ٢٨٩
لأبي حيان التوحيدي: علي بن محمد بن العباس
تحقيق الدكتورة: وداد القاضي
توزيع دار الجيل – بيروت

بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذهن والهاجس١٥٦
لأبي عمر يوسف بن محمد بن عبدالبر
تحقيق: محمد مرسي الخولي
دار الكتب العلمية – بيروت

البيان والتبيين..... ٨٩
لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون

(ج)

الجليس الصالح الكافي ١٦٤
لأبي الفرج المعافي بن زكريا الهرواني الحريري
تحقيق: الدكتور إحسان عباس
عالم الكتب.

(ر)

ربيع الأبرار ونصوص الأخبار..... ٩٤
لمحمود عمر الزمخشري
تحقيق: الدكتور سليم النعيمي

(س)

سراج الملوك..... ٢٨٠
لمحمد بن الوليد الطرطوشي
تحقيق: جعفر البياتي
كُتب: رضاض الريس – لندن

(ع)

العقد الفريد ٧٦

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي

لجنة التأليف والترجمة والنشر

القاهرة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

عيون الأخبار ٨٢

لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

دار الكتب العلمية – بيروت

(ك)

الكشكول ٧٩

لبهاء الدين العاملي

تحقيق: أحمد الزاوي

طبع دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

(م)

مجالس العلماء ٨٢

لأبي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي
تحقيق: عبدالسلام محمد هارون
التراث العربي – الكويت – ١٩٦٢م

محاضرات الأدباء..... ٢٧٩
محاورات الشعراء والبلغاء
للراغب الأصبهاني
دار الآثار – بيروت

المختار من نوادر الأخبار ٦٥
لشمس الدين ابي عبدالله محمد بن أحمد المقري الأنباري
المكتبة العصرية – صيدا – بيروت

المراح في المزاح ٢٩
لبدر الدين أبي البركات محمد الغزي
الناشر: مكتبة المعارف بالطائف
لمحمد سعيد حسن كمال
المجلد (١٢) من مجموعة الرسائل الكمالية
في الملح واللطائف

المصون في الأدب ٣٠٤
لأبي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري
تحقيق: عبدالسلام محمد هارون
الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة
ودار عبدالعزيز الرفاعي بالرياض

المنتقي من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها ٢٨٧
لأبي بكر محمد بن جَعفر بن سهل الخرائطي
انتقاء: الحافظ أبي طاهر
أحمد بن محمد الأصبهاني
دار الفكر - دمشق

الموشّى أو الظرف والظرفاء ١٧١
لأبي الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشّاء
دار صادر - بيروت

(ن)

نزهة الألباء في طبقات الأدباء ٢٤٠
لأبي البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الأنباري
تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي

مكتبة المنار – الأردن – الزرقاء

(و)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢٨٨

لأبي العباس شمس الدين بن أحمد بن محمد بن خلكان

تحقيق: د. إحسان عباس

دار الثقافة – بيروت

نبذة عن المؤلف

* ولد عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) في مدينة عنيزة بالقصيم بالمملكة العربية السعودية.
* جزء من دراسته الابتدائية بعنيزة وجزء منها والثانوية في مكة المكرمة.
* حاصل على الليسانس من دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٣٧١هـ.
* حصل على الدكتوراة في التاريخ من جامعة لندن عام ١٣٨٠هـ.
* عين في العام نفسه أميناً عامّاً لجامعة الملك سعود ثم وكيلاً لها.
* درّس تاريخ المملكة العربية السعودية لطلاب كلية الآداب.
* انتقل من الجامعة رئيساً لديوان المراقبة مدة عامين تقريباً. ثم وزيراً للصحة مدة عامين تقريباً. ثم وزيراً للمعارف (التربية والتعليم) مدة واحد وعشرين عاماً.
* عُيّن في ١٤١٦هـ وزير دولة وعضواً في مجلس الوزراء.

كتب صدرت للمؤلف

* نشر عام ١٣٩٠هـ كتاب "الشيخ أحمد المنقور في التاريخ".
* ألّف عام ١٣٩٠هـ كتاب "عثمان بن بشر".
* ألّف عام ١٣٩٥هـ كتيب "في طرق البحث".
* طبع في عام ١٣٩٦هـ كتابه عن الملك "الظاهر بيبرس" باللغتين العربية والإنجليزية.
* حقق عام ١٣٩٦هـ كتاب "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر" ونشره.
* حقق كتاب "حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية" لشافع بن علي، ونشره عام ١٣٩٦هـ.
* ألف "من حطب الليل" الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ، والثالثة، عام ١٤٢٥هـ.
* ألّف عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م كتاب "قراءة في ديوان محمد بن عبدالله بن عثيمين".
* ألّف بين عامي ١٤٠٩هـ و١٤١٤هـ كتاب "أي بُني" في

خمسة أجزاء.

* ألّف منذ عام ١٤١٤هـ كتاب "إطلالة على التراث" سبعة عشر جزءاً.
* ألّف عام ١٤١٨هـ كتاب "يوم وملك".
* ألّف منذ عام ١٤١٩هـ وحتى ١٤٣٣هـ أربعة أجزاء من كتاب "ملء السلة من ثمر المجلة".
* ألّف عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠١م حديث الركبتين.
* ألّف عام ١٤٢٤هـ كتاب "لمحة من تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية".
* ألّف عام ١٤٢٥هـ كتاب "دمعة حرى"، والطبعة الثانية مزادة عام ١٤٢٨هـ.
* ألّف منذ عام ١٤٢٦هـ/١٤٣٣هـ تسعة وعشرين جزءاً من كتاب "وسم على أديم الزمن - لمحات من الذكريات".
* ألّف عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م كتاب "رصد لسياحة الفكر". أربعة أجزاء.
* ألف عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م كتاب "بعد القول قول".
* ألف عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م كتاب "السلام عليكم".
* ألف عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م كتاب "نزّ اليراع".

* ألف عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م كتاب "النساء رياحين".
* ألف عام ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م كتاب "هنيئاً لك السعادة".

هذا الكتاب

الراحة بعد التعب مطلوبة للجسم والذهن ، فيها يُستعاد النشاط ، وتُحتاز الحيوية، فيقبل المرء على عمله بهمة قعساء ، وتشوق شديد .

ومن مظاهر الراحة ، في وقتنا هذا ، الإجازة بأنواعها ومددها وأماكنها ، وقد أصبحت جزءاً من حياة الناس ، سواء كانت سنوية أو حسب مواسم حددها المجتمع .

في هذا الكتاب ما يؤمّل أن يساعد المتمتع بالإجازة على ملء وقته بما يبهجه ، ويسارع في نسيان التعب الذي جاء ليمحو آثاره ، ويقضي على مظاهره مع توفر فوائد تحت مظاهر البهجة والسرور، وقد أُختيرَت بعناية لتؤدي الغرض الذي جيء بها من أجله .

يؤمّل أن تكون هذه المختارات جذابة بما فيها من ابتسامات أُختيرَت وفي الذهن ألاّ يضعها القارىء من يده حتى ينهيها ، وقد يعود لقراءتها قراءة متأنية .

والله الموفق

المؤلف

مطبعة سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض

ردمك : ٨- ١٧٣٣- ٠١ -٦٠٣ - ٩٧٨